الفصل الثالث

المروانيون المتقدمون

(٦٤-٨٦هـ/ ٦٨٣-٧٠٥م)

مروان بن الحكم بن أبى العاص[1] (٦٤-٦٥هـ/٦٨٢-٦٨٤م)

كان عهد يزيد ن معاوية مشحونًا بالصراعات والفتن التى فتت عضد الدولة الأموية، ثم تسلم ابنه معاوية بن يزيد الخلافة فلم يستطع أن يعى الأمور إلى سابق عهدها، فآثر التخلى عنها، فعاشت دمشق عاصمة الدولة فراغًا سياسيًا عملت القبائل اليمانية على حسمه لصالح الأمويين لأنها وجدت من مصلحتها استمرار توليهم الحكم خشية من انتقام القبائل القيسية التى بدأت ترى أن من مصلحتها مساندة دعوة ابن الزبير، فعمل هذا التنافس القبلى على تهيئة الأجواء لانتخاب خليفة يتصف بالحنكة والدهاء والتدبير فى ظل ظروف صعبة تحتاج إلى قيادة عملية لا إلى قيادة شكلية مترفة تستند على حق وراثى يقودها إلى ميادين القتال بغير خبرة، لذا وقع الاختيار على مروان بن الحكم كبير بنى أمية وأكثرهم استعدادًا لمجابهة الخصوم.

وكان مروان والى المدينة ليزيد بن معاوية فطرده ابن الزبير فقال راجزه:

حَرَّم مروان عليهن النَوْمْ إلّا قليلًا وتَلاهن القَوْم
حتى يَقْلنَ أيبتنَ بالدَومْ[2]

وحين مات معاوية بن يزيد سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) قام مروان على قبره "فقال: أتدرون من دفنتم قالوا نعم معاوية بن يزيد قال بل أبا ليلى يستطعه وكانوا يكنون كل ضعيف أبا ليلى"[3] فقال بعض بنى فزارة:

---

(١) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، صحابي، (ت، ٦٥هـ/ ٦٨٤م).
ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٥/ ٣٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ١٤٤.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٧. والدَومُ على مسيرة ليلتين من المدينة.

(٣) نفسه، ٢-٤/ ٦٢.

لا تخـدعن فـإن الأمـر مختلف والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا[1]

وأخذ مروان يتشوف إلى الخلافة حتى كان مؤتمر الجابية[2] الذى اتفقت فيه القبائل اليمانية على مبايعته[3] فقال مروان حين بويع له ودعا لنفسه:

لما رأيتُ الأمر أمرًا نَهبا يَسَّرت غَسَّانَ لهم وكَلبا
والسَّكسكِّين رجالًا غُلبا وطَيِّئًا تأباه إلا ضَربا
والقَين تمشى فى الحديد نُكبا ومن تَنُوخَ مُشَمِخرًا صَعبا
لا يأخذونَ المُلك إلا غصبا وإن دَنَت قيسٌ فقل لا قُربا[4]

يشير هذا النص إلى القبائل التى ساندت مروان بن الحكم فى صراعه مع ابن الزبير، ويكشف عن تذمره من قبائل قيس التى ساندت ابن الزبير وثارت ضد حكم الأمويين فى الشام.

كان مروان يلقب بخيط باطل لدقته، فلما بويع بالخلافة قال عبدالرحمن بن الحكم أخوه:

لعمرك ما أدرى وإنى لسائل حليلة مضروب القفا كيف يصنع
لحى الله قومًا أمروا خيط باطل على الناس يعطى ما يشاء ويمنع[5]

وقال أبو دهبل الجمحى يعرض به:

يدعون مروان كيما يستجيبَ لهم وعند مروانَ خارَ القوم أو رَفدوا

---

(١) نفسه.

(٢) الجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل، وهي قرية من أعمال دمشق. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٩١-٩٢ (الجابية).

(٣) البلاذرى: أنساب ٥/ ١٣٩؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٣٥.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٨؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٣٨ وأثبت روايته؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٨٧؛ البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت، ٤٨٧هـ/ ١٩٤م): التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ)، ٢٦٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٢٩؛ البيت الثاني عند المسعودى: مروج، ٣/ ٨٦.

قد كانَ فى قوم موسى قبلهم جَسد عجل إذا خار فيهم خورةً سجَدوا[1]

كشفت معركة مرج راهط[2] فى سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م)[3] عن حالة التصدع فى وحدة الدولة الأموية من خلال ظهور الأهواء الفردية والطموحات السياسية فزادت الصراعات القبلية من حدة التنافس للوصول إلى السلطة، ثم استقر بعد ذلك الأمر للأمويين فى الشام، فكان الناس فريقين بحَدلَي[4] وزُبيرى كما قال عبدالرحمن بن الحكم:

وما الناسُ إلّا بحدلى عن الهوى وإلا زُبيرى عَصى فَتَزبَّرا[5]

مما يكشف عن حالة التمزق القائم الذى يستهدف القضاء على حكم الأمويين فى الشام وإسناد الخلافة لابن الزبير الذى أصبح يعتمد على ولاء القبائل القيسية، وإلى هذا يشير زفر بن الحارث الكلابى[6] (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٥م) زعيم قبائل قيس بقوله:

أفى اللهِ إمَّا بحدلٌ وابنُ بحَدلِ فَيحيا وإمَّا ابن الزُّبيرِ فيُقْتَلُ[7]

لهذا قال حسان بن مالك بن بحدل زعيمُ قبيلةِ كَلبس حين سَلَّم الأمر إلى مروان:

---

(١) ديوانه، ٨٠.

(٢) موضع في الغوطة من دمشق في شرقية. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٢١ (راهط).

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٥٥؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٣٥.

(٤) نسبة على حسان بن بحدل بن أنيف بن دلجة الكلبي زعيم قبائل اليمن ابن أخي ميسون بنت بحدل أم يزيد بن معاوية. ابن حزم: جمهرة، ٤٥٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٢؛ التبريزي، يحيى بن علي (ت، ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م): شرح ديوان الحماسة، الجزء الثاني (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).

(٦) أبو الهذيل، زفر بن الحارث بن عمرو الكلابي، شاعر وزعيم قبلي. رجته: الآمدى: المؤتلف، ١٩٨؛ التبريز: شرح، ١/ ٧٩.

(٧) زفر بن الحارث الكلابي (ت، ٧٥هـم٦٩٥م): شعره، تحقيق نوري حمودي القيسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٥٠)، الجزء (الأول)، (بغداد، ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/ كانون الثاني ١٩٨٤ م)، ١٦٧؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٣.

فـإلا يَكُـنْ مِـنَّا الخلـيفةُ نفـسُه فمـا نالَهـا إلَّـا ونحـنُ شُـهُودُ[1]

وقالَ بعضُ الكلبيين:

نَـزلنا لكُـم عَـن مِـنبرِ المُلـكِ بَعـدَما ظَلَلـتم ومـا أنْ تـستَطِيعون مِنْبَـرا[2]

ودعا مروان ايمن بن خريم الأسدى للقتال معه، فقال أيمن:

ولـست مُقاتِلًـا رَجلًـا يـصلى علـى سـلطان آخـر مـن قـريشِ
لـسه سـلطانه وعلـى إثمـى معـاذ الله مـن سـفهٍ وطـيشِ
أأقـتلُ مُـسلمًا فـى غـيرِ جُـرم؟ فلستُ بنافعى ما غُشت عَيشى[3]

وحين احتدم القتال بين الفريقين على مقربة من دمشق قال بِشر بن مروان بن الحكم[4] (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٥م):

إنَّ علـى الـرئيس حقًّـا حقًّـا أن يُخـضِب الـصَّعدَةَ أو تَـندقًا[5]

وكانت قبائل قيس قد اجتمعت إلى زفر بن الحارث فقال:

لعمـرى لقـد أبقَـت وقـيعة راهـطٍ لحـسان صَـدعًا بيِّـنا مُتناكـيا
فقد ينبتُ المَرعى على دِمنِ الثّرى وتبقـى حـزازات الـنفوسِ كمـا هـيا
أتـذهبُ كلـبٌ لم تَـنلها رماحُـنا وتـترك قتلـى راهـطٍ هـى مـا هـيا[6]

وفر من مرجع راهطٍ إلى قرقيساء[7]، فراح يتذكر من قتل من أصحابه:

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٥.
(٢) نفسه.
(٣) أيمن بن خريم الأسدى: ديوانه، تحقيق الطيب العشاش (مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٤٩؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٥.
(٤) ترجمته: ابن حزم: جمهرة، ١٠٦؛ الذهبى: سير، ٤/ ١٤٥.
(٥) البلاذرى: أنساب: أنساب، ٥/ ١٤١-١٤٢؛ الطبرى: تاريخ: ٥/ ٥٤١-٥٤٢.
(٦) شعره، ١٧١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤١-١٤٢؛ الطبرى: تاريخ: ٥/ ٥٤١-٥٤٢.
(٧) معرب كركيسياء بلد على نهر الخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٣٢٨ (قرقيسياء).

أيـذهبُ يـومٌ واحـدٌ إن أسـاته بـصالح ايامـي وحـسن بلائـيا
أبعـدَ ابـن عمـروٍ وابـن معـن تـتابعًا ومقـتل همـام أُمنـي الأمانـيا[1]

وأذكت هذه الوقعة نار الصراعات القبلية فاعتمد الأمويون على خؤولتهم من كلب إحدى قبائل قضاعة فى صراعهم مع مناوئيهم؛ لذا رد رجالات كلب على زفر، فهذا جواس بن القعطل الكلبى[2] يقول:

لعمـرى لقـد أبقـت وقـيعةُ راهـطٍ علـى زُفَـرٍ داءً مـن الـدَّاء باقـيا
يُبكـى علـى قتلـى سُـليمٍ وعامـرٍ وذبـيانَ معـذورًا ويبكـى البَواكـيا
دعـا بـسلاحٍ ثـم أحجـم إذ رأى سـيوفَ جَنابٍ والطِّوالَ المَذاكـيا[3]

وأجاب عمَرو بن مخلاة الكلبى[4] زفرَ بن الحارث فقال:

بكـى زُفـر القيـسى مـن هُلـكِ قـومهِ بعـبرَةٍ عـين مـا يجـفُّ سـجومُها
يُبكِّـى علـى قَتلـى أُصـيبت بـراهطٍ تجاويُـه هـامُ القِفـار وَيـومُها
أبحـنَا حمـى للحـى قَـيسٍ بـراهِطَ وولَّـت شـلالا واستُبيح حـريمُها[5]

كان عمرو بن مخلاة أحد فرسان معركة مرج راهط فذكر أشهر من قتل فيها حين قال:

---

(١) شعره، ١٧٢؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٢.

(٢) هو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبي، والقعطل أبوه واسمه ثابت. شاعر فارس أحد مناصري الأمويين (ت، نحو ٧٠هـ/ ٦٨٩م).
ترجمته: الآمدى: المؤتلف، ٩٩؛ ابن حزم: جمهرة، ٥٤٦.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٢؛ الآمدى: المؤتلف، ٩٩؛ البكرى: التنبيه، ٢٦٨.

(٤) هو عمرو بن مخلاة أو مخلي أحد بني عدي بن جناب الكلبين، شاعر فارس عاش في عهد الملك بن مروان (ت، نحو ٨٦هـ/ ٧٦٠٥م). ترجمته: ابن الجراح: من اسمه عمرو، ١٢٣؛ المرزباني، معجم الشعراء، ٦٨.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٣.

أصابت رماحُ القومِ بشرًا وثابتًا ... وحَزنًا وكُلٌّ للعشيرةِ فاجِعُ
طَعَنًا زيادًا في أستهِ وهو مدبرٌ ... وثورا أصابته السيوفُ الصوارمُ
وأدركَ هَمَّامًا بأبيضَ صارِمٍ ... فتى من بني عَمرو طُوالٌ مشايعُ
وقد شَهِد الصَّفينِ عَمرو بن محرزٍ ... فضاقَ عليه المُرج والمُرجُ واسِعُ[1]

فهو يشير على ثور بن معن السلمى وهمام بن قبيصة النميرى، وكان الوازع بن ذؤالة الكلبى قتل همامًا بعد أن أبى الفرار[2]، وهو يقول:

ألا يا ابن ذاتِ النوق أجهز على امرئٍ ... يرى الموتَ خَيرًا من فِرارٍ وأكرمَا
ولا تتركني بالحُشاشَةِ إنني ... أكرُّ إذا ما الناس مثلكَ أحجما[3]

فقال الوازع[4]:

تنسى الذى أسديته يومَ راهطٍ ... وقد ضاقَ عنكَ المُرجُ والمرجُ واسِعُ
وأقبلَ حادى الموت يحدو مُشَمِّرًا ... بفرسانِ حَربٍ لم تَرعْها الرَّوائعُ
عليها قَرومٌ من قضاعة سادةٌ ... لهم شِيمٌ محمودةٌ ودسائِعُ
إذا لَقِحت حربٌ مرتها سيوفُهم ... وأيْدس طِوالٌ لَم تَخنْها الأشاجِعُ
يَرونَ وُرودَ الموتِ حَقًّا عليهُم ... إذا حادَ عن وُردِ المنايا المخادِعُ
فكَمْ مِن كَرِيمٍ قَدْ تَركنا مَلحميًّا ... وآخرَ قَد سُدَّت عليه المَطامِعُ[5]

---

(١) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م: ديوان الحماسة، تحقيق عبدالمنعم أحمد صالح (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م)، ١٨٢؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٨؛ التبريزى: شرح، ٢ / ٩٨؛ ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م): الحماسة الشجرية، تحقيق عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي، الجزء الثاني وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م)، ١٧٢. ولزفر أجوبة عليه في شعره، ١٦٦.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٦. وهمام سيد قومه. ينظر: ابن الكلبى: جمهرة، ٣٧٥.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٧.

(٤) أحد بني كلب. البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٧ و١٤٦.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٦؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٤١. وحول ما قال عمرو بن مخلاة ينظر: المرزبانى: معجم الشعراء، ٤٥.

ووثق ابن طُرّامة الكلبى عدد من قتل بثلاثة آلاف فقال:

وباديـــةِ الجواعـــرِ مِـــنْ نُمـــيرٍ ... تُـــنادى وهـــى حاسِـــرَةُ الـــنقابِ
قَتلـــنا مِـــنكم ألفـــين صَـــبرًا ... وألفًـــا بالـــتلاعِ وبالرَّوابـــى[1]

كما أشار زفر بن الحارث لبعض من قتل فى المرج فقال:

ابعـد ابـن عَمـروٍ وابـن مِعَـن تَـتَابعًا ... ومِـن بَعـد هَمَّـام أُمنـى الأمانـيا[2]

وحين قتل هَمَّام بن قبيصة فى وقعةِ مُرجِ راهطٍ رثته عُميرة بنت عامِر الجعونية فقالت:

لَقَـد فَجعتْنـى الحادثـاتُ بـسيدٍ ... كَـريمٍ نَـشاهُ مـن نُميرِ بـن عَامِـرِ
أَعـزَّ إذا ماشـى الـرِجالَ عَلاهُـمُ ... بآبـاءِ صـدقٍ جـدَّهم غـير عاثِـرِ
هُـم يـردون المـوتَ إذا طـابَ ورده ... ببـيضٍ خفـافٍ فـى الأكُـفِّ مُواتِـرِ
فـإنْ كـانَ هَمَّـامٌ أتـتهُ منـيةٌ ... فمـا كـانَ وقافًـا غَـدَاةَ الـتغاوُرِ
ولا حائِـدًا عـن قِـرنِه إذ تـبادَرَتْ ... فَـوارسُ قَـيسٍ بالـرِّماحِ الـشَّواجِرِ
لَقَـدْ كَـرَّ حتـى نالَـهُ المـوتُ مُقـدِمًا ... وحامـى بِمـسنونِ الغِـرارَيْنِ باتِـرِ
فـإنْ تَـكُ كَلـبٌ أقـصدَتْهُ فَـرُبَّمَا ... رَمَـى حَـى كَلـبٍ بالدَّواهـى الفَواتِـرِ
وَغَـادَرَهُمْ شَـتَّى عِـزينَ فُلـولُهم ... علـى كُـلِّ عِـدٍّ مِـنْ مِـياهٍ قَراقِـرِ[3]

وحينَ قَتَلَ زحنةُ بن عبدالله الكلبى[4] الضَّحاكَ بن قيس الفهرى[5] قال رويفع البلوى[6]:

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٨ وطرامه أمه.
(٢) شعره، ٧٢؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٢.
(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٣.
(٤) أحد بني تيم بن رفيدة بن ثور بن كلب. نفسه، ٥/ ١٣٩.
(٥) قتل في مرج راهط سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٧/ ٤١؛ ابن كثير: أسد الغابة، ٣/ ١٤٩.
(٦) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٩.

ويـومَ نَـدا الـضَّحاك حـينَ تَألَـبتْ ... علينا العِدى مِن كلِّ شرقٍ ومَغربِ
حَشاهُ ابـن تـيمِ الـلاتِ زحـنة ثعلبًا ... طريـرًا كقـبسِ القـابسِ المـتلهبِ[1]

وحفظ هذا الشعر أسماء المقتولين ومن قتلهم وأسماء قبائلهم، فكان شعر الرثاء وثيقة يتناقلها الرواة ويحفظها شعراء القبائل الذين يتفاخرون فى حفظ وقائع قبائلهم، ومـن ذلك ما وثقه الشعر عن مقتل خالد بن حصين الكلابى من قبائل قيـس وعـلاقة ذلك بشخصيتى بشر بن مروان وعمرو بن سعيد كما فى قول الشاعر:

ثَـوى خالـدٌ بالمـرجِ غـيرَ مُلَـوَّمٍ ... ولا بَـرمٍ عـامَ الـرِّياحِ الـصَّوارِدِ
لَعَمـرى لَقَـد أرداه بِـشرٌ لحِيـنِهِ ... وعَمـروٌ فقـد نـالا كَـريمَ المـشَاهِدِ
فَهَـلا بَنِـى العاصِـى ذكـرتُم بـلاءَهُ ... ومـا شـاكِرِ المعـروف يَـومًا كجاحِـدِ
بِـراهِطَ إذْ عـبدُ العزيـزِ مَعفَّـرٌ ... لـدى مُـسندٍ مِـنكُم وآخـرَ سَـاجِدِ
فـلا صـلَح أو تـزقُوا لِمـروانَ هامَـةٌ ... علـيه بأيدِيـنا بَـواءً لخالـدِ[2]

يلوم الشاعر بنى أمية لأنهم لم يشفعوا لخالد حتى يتحول لومه إلى تهديد واضح لشخص مروان فيجعله بواءً لخالد، أى عِدلًا يثأر به، بينما يضع الضحاك بن فيروز الديلمى تبعة مقتل النعمان بن بشير الأنصارى[3] على قبائل حمير التى قتلته حين كان والى بن الزبير على حمص[4] فيقول:

زعمـوا بـأنَّ أخـا التفـضلِ والـندى ... قتلـتهُ غـدرًا إذ تعـاورت حِمـيرُ
غـدروا بـنُعمان بـن سَـعدٍ غَـدرةً ... ولـرأسِ حِمـيرَ مِـثلُها أو أكثَـرُ[5]

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣٩.
(٢) نفسه، ٥/ ١٦٦-١٦٧.
(٣) هو النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي كان عثمانيًا ثم مال مع ابن الزبير (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٣م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٥٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٥/ ٣٢٦.
(٤) حمص: قلعة بين دمشق وحلب، ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٠٢ (حمص).
(٥)البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٧. ينظر: أيضًا ما قاله عبد الرحمن بن الحكم في هذا الموضع.

ويشير عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان إلى أثر قبيلة كلب فى معركة مرج راهط وهى تصارع قبيلة قيس عيلان فيقول:

أتـذهبُ كلـبٌ قـد حمـتها رماحُهـا ... وتـترُك قَتلـى راهـطٍ مـا أجـنَّتِ!

لحـا اللهُ قيـسًا قـيسَ عِـيلانَ إنهـا ... أضـاعت ثُغـور المـسلمين وولّـتِ

فـباءِ بقـيسٍ فـى الـرَّخاء ولا تكُـن ... أخاهـا إذا مـا المـشرفيَّةُ سُـلّتِ[1]

وحين عاد مروان بن الحكم إلى دمشق بعد انتصاره فى معركة مرج راهط قال بعض أنصاره بعد أن علموا قوة شوكة القبائل التى تحيط به وتدافع عن دولة الأمويين:

اللهُ أعطـاكَ التـى لا فـوقَها ... وقـد أرادَ الملحـدونَ عـوقَها

عـنك ويأبـى الله إلا سَـوقَها ... إلـيكَ حتـى قلـدوكَ طـوقَها[2]

فلما اجتمع أمر الخلافة لمروان، وفرغ من الحروب التى تشغله دخل عليه أرطاة بن سهية فهنأه وكان خاصًا به[3] فقال:

وسـادت معـدًّا علـى رغمِهـا ... قـريشٌ وسُـدت قرَيـشًا غُلامـا

جُعلـتَ علـى الأمـرِ فـيه صَـغًا ... فمـا زالَ عمـزُكَ حتـى استقاما[4]

هذه إشارة على صراعات القبائل، وطموح قريش فى السيادة على معد، فقد شاع فى هذا الوقت الشعر الذى يعبر عن وجهة نظر الأطراف المتصارعة حول السلطة، ويؤشر الوقائع الحربية التى درات بين هذه الأطراف وما جرى فيها من خسائر فى الأموال والرجال فقدم هذا الشعر مادة تاريخية للباحث فى فهم طبيعة الصراعات والأحداث.

---

(١)الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٤. ينظر: أيضًا ما قاله عويج الطائي عن كلب في هذا الموضع.

(٢)البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٣١.

(٣)الأصفهانى: الأغاني، ١٣/ ٣٠.

(٤)شعره، ١٨٢؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٣/ ٣٠.

وفى سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م)[١] بعد موت معاوية بن يزيد وخشية الفتنة عهد سلم بن زياد ولاية خراسان إلى عبدالله بن خازم السلمي[٢] فنشب الصراع بينه وبين سليمان بن مرثد، فأدى ذلك إلى مقتل أخيه عمرو بن مرثد[٣] وهزيمة جيشه، فقال الشاعر:

أتـذهب أيـامُ الحـروبِ ولم تُبـئْ ... زهـير بـن حَيَّان بعمـروِ بـن مَـرثَدِ[٤]

وفى ذلك يقول[٥] المغيرة بن حبناء:

وفى الحرب كنتم فى خُراسان كلِّها ... قتـيلًا ومـسجونًا بهـا ومـسيَّرا
ويوم احتواكم فى الحَفيرا بنُ خازمٍ ... فلـم تجـدوا إلا الخـنادِقَ مقَـبرا
ويـوم تـركتُم فـى ألغـبار ابـن مِـرثَد ... وأوسًا تركتم حيثُ سارَوا عَسكَرا[٦]

واغتنم الترك فرصة الصراع بين الأطراف العربية المتنازعة فأغاروا عليهم، فلما هزم زهير ابن حيَان التركَ[٧] قال كعب بن معدان الأشقرى[٨] (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م) وهو من الشعراء الفرسان:

أتاكَ أتاكَ الغوث فى برقِ عارضٍ ... دُروعٌ وبـيضٌ حـشوهُن تمـيمُ
أبوا أن يضمُّوا حشوَ ما تجمع القُرى ... فـضمَّهُمُ يـومَ اللِّقـاءُ صـميمُ

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٥-٢٤٧.

(٢) توفى سنة (٧٢ هـ/ ٦٩١م). ترجمته: الذهبى: العبر، ١/ ٢٥؛ ابن حجر. تهذيب، ٥/ ١٧٠.

(٣) سليمان بن مرثد وعمرو بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة. الطبرى: تاريخ، ٥/ ٤٥٦.

(٤) نفسه، ٥/ ٥٤٧.

(٥) من ربيعة بن حنظلة التميمي، وحبناء لقب غلب على أبيه لحين أصابه، وهو ورم البطن، شاعر أموي (ت، ٩١هـ/ ٧١٠م). ترجمته: ابن قتيبه: الشعر والشعراء، ١/ ٣١٩؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٣/ ٨٦.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٥١. والأبيات غير مذكورة في مجموع شعره.

(٧) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٩.

(٨) شاعر فارس من الأزد، من أصحاب المهلب بن أبي صفرة. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ١٤/ ٢٦٦؛ المرزبانى: معجم الشعراء، ٢٣٦.

ورزقهُمُ من رائحاتٍ تزينُها ضروعٌ عَريضات الخواصِرِ كومُ[1]

وهو يمدح زهير بن حيان وبنى تميم لقتالهم الترك، وإلى هذا أشار أحد فرسان الأزد ثابت قطنة[2] فقال:

فدَتْ نفسى فوارسَ من تميم غداةَ الروع فى ضَنَكِ المقام
فَدت نفسى فَوارسًا اكتفونى على الأعداءِ فى رَهَجِ القَتام
بقصرِ الباهلى وقد رأونى أحامى حيث ظنَّ بهِ المحامى
بسيفى بعد حطم الرمح قَدحًا أذودهم بذى شَطب حسام
أكرُّ عليهم اليحمومَ كَرًّا كَكَرِّ الشربِ آنيةِ المُدام

حتى يقول:

إذن لسَعت نساء بنى دثارٍ أمامَ التُركِ باديةَ الخِدامِ[3]

يبدو هذا الشعر صورة حية للأحداث والوقائع، فهو أشبه بالوثيقة التى تحفظ الأسماء والأحداث، وتكشف عن كيفية مجابهة الحرب بإقامة الخنادق، وهؤلاء الشعراء هو من فرسان الحروب المجربين الذين يرون فى الخندق هروبًا من مواجهة العدو، فضلًا عن كون هذه النصوص توثق الأمكنة التى حصلت فيها الوقائع، فكانت صورة نابضة بالحقيقة التاريخية.

بعد أن استقر مروان بن الحكم فى الشام سار إلى مصر فدخلها سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[4] فأشير عليه بحفر الخندق حول الفسطاط[5]، فوافقهم وحفره فى شهر واحد وفى ذلك قال شاعرهم:

---

(١) الأشقري، كعب بن معدان (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣): شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٤١٦؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٩.

(٢) ثابت بن كعب، من فرسان الأزد سمي قطنة لوضعه قطنة في عينه التي أصيبت بسهم (ت، ١١٠ هـ/ ٧٢٨م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٥٢٦؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٤/ ٢٤٧.

(٣) ثابت قطنة العتكي (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨م): شعره، تحقيق ماجد أحمد السامرائي (مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ٥٥-٥٦؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٩.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٥٧.

(٥) الفسطاط: ضرب من الأبنية وبه سميت الفسطاط. ياقوت: مع البلدان، ٤/ ٢٦٣ (الفسطاط).

وما الجدُّ الأمثل حِدُّ ابن جَحدَمٍ وما العَزمُ إلا عزمَهُ يوم خَندَقِ
ثلاثون ألفًا هم أثاروا ترابَهُ وخدّوه فى شهرٍ، حَديثُ مُصدَّقِ[1]

فوثق هذان البيتان عدد من عمل فى الخندق، وهم ثلاثون ألفًا، ومدة حفره وهى شهر واحد، وأشار عبدالرحمن بن الحكم إلى القبائل التى عملت فى هذا الخندق، فذكر أحياء مذحج والأشعريين وحمير وغافق.. وغيرها، فقال:

بلغنا بفيلق يَغشى الظِّرابَ بعيدَ السمّوا لِمن يَرتقى
وجاشت لنا الأرضُ من نحوهم بحيَّى نَجيبَ ومن غافقِ
وأحياء مذحج والأشعريين وحِمير كاللّهبِ المحرَّق
وسدت معافرُ أفق البلادِ بمرعِدِ جيشٍ لها مُبرِقِ[2]

واكب هذا الشعر الأحداث فعبر عن تفاصيلها وحفظ أسماء القبائل التى ساهمت فى هذه الوقعة، فكان الشعر سجلًا للوقائع حتى أن بعض الشعراء كان يصاحب الولاة ويوثق أعمالهم، فقد كان نصيب[3] منقطعًا إلى عبدالعزيز بن مروان[4]، فلما استطاع إعادة بُساق[5] قال يوثق الحدث:

حلت بُساقًا والبطاحَ فلم يُرِمْ بطاحَكَ لما أنت حميتَ ذماركا
فَسَرت الأَلى ولّوا عن الأمرِ بعدما أرادوا عليه، فاعلمن اقتسارها[6]

---

(١) الكندي، محمد بن يوسف (ت، ٣٥٠هـ/ ٩٦١م): ولاة مصر، تحقيق حسين نصار (دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ٦٥.

(٢) نفسه، ٦٦-٦٧.

(٣) نصيب بن رباح مولى عبدالعزيز بن مروان، شاعر أموي (ت، ١٠٨هـ/ ٧٢٦م). رجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٤٨؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٣٢٢.

(٤) عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي (ت، ٨٥هـ/ ٧٠٤م). ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٧٦؛ الذهبى: سير، ٤/ ٢٤٩.

(٥) عقبة بين التيه وأيلَه. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤١٣ (بُساق).

(٦) نصيب بن رباح: شعره، تحقيق: داود سلوم (مط الرشاد، بغداد، ١٩٦٨)، ١١٣.

كانت مدة حكم مروان بن الحكم على قصرها حافلة بالأحداث والصراعات التى كانت تتصاعد بقوة، فكان ذلك مدعاة لازدهار الشعر نتيجة تأجج الصراعات القبلية والسياسية، لأن الشعر وسيلة من وسائل التعبير عن المواقف، والصوت الإعلامى الذى يسهم فى انتشار الخبر وشيوعه فيبعث فى الحياة روح التنافس ويؤدى على رسوخ التناقضات السياسية ووضوحها بجلاء ويمنح الشعراء المحفز القادر على إثارة العواطف وتأليب الخصوم.

عبدالملك بن مروان بن الحكم[1] **(٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)**

تسلَم عبدالملك الخلافة وما زال ابن الزبير يستحوذ على مساحة واسعة من رقعة الدولة الأموية، وكان وضع الدولة فى هذه الأثناء هشًا والظروف المحيطة بها مرتبطة، فقد كانت أيام مروان القليلة غير كافية لتثبيت أركان دولته التى تكاد أن تكون أسست تأسيسًا جديدًا، لذا بدت المهام أمام عبدالملك لتثبيت أركان الدولة جسيمة تحتاج إلى القوة والحنكة السياسية والأفق الواسع لمجابهة قوة عبدالله بن الزبير، وفرقة القبائل العربية، فضلًا عن الحاجة إلى المال والرجال، وقد بدأ أبوه خطواته الأولى بقوة قبيلة كلب ومن والى بنى أمية، ثم أخذ يوسع نفوذه فى الشام ومصر، والخطوة القادمة تحتاج من عبدالملك التوسع فى العراق وخراسان والحجاز والبحرين واليمن وباقى أمصار الدولة العربية الإسلامية.

كان عبدالملك إداريًا حازمًا، وأديبًا ذواقًا، فكان يحفظ الشعر ويتمثل به ويحتفظ بنصوص منه مكتوبًا، فقد كان ((يخرج شعر كثير إلى مؤدب ولده مختومًا ويرويهم إياه ويرده))[2] وقد جمع بعض بنيه فاستقرأهم "فقرؤوا، واستشهدهم فأنشدوا لكل شاعر غير الأعشى، فقال لهم: قرأتم فأحسنتم، وأنشدتم فأحسنتم لكل شاعر غير الأعشى، فما بالكم تهجرونه، فقد أخذ فى كل فن فأحسن، وما امتدح رجلًا قط

---

(١) ولد سنة (٢٦هـ/ ٦٤٦م) وتولى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٢/ ٣١٦؛ الذهبى: سير، ٤/ ٢٤٦.

(٢) الأصفهانى: الأغاني، ٩/ ٢٣.

إلا جعله مذكورًا))[1]. يعنى بالذكر الأثر والانتشار بوصف الشعر سجلًا للوقائع ووثيقة يدون بها الحدث. فلا غرو أن ينال الشعراء عنده حظوة خاصة وأن يستخدم الشعر سلاحًا فاعلًا ضد خصومه، ووسيلة لذيوع صيته فهابه أعداؤه وتحاشوه؛ وهو ما أثبتته الوقائع وكشفت عنه الأحداث، فكان طوال مدة حكمه سببًا إضافيًا لاستقرار الدولة فى عهده وازدهار متطلبات الحضارة فيها، كما أنه يرى فى الشعر مادة أخلاقية تهذب الذوق وتسمو بالأفكار والمعانى إلى مواطن الرفعة.

تصاعد أمر التوابين[2] فى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[3] الذين بدأت حركتهم فى سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣)[4] فى عهد مروان بن الحكم طلبًا بثأر الحسين رضى الله عنه، إذ بعث سليمان بن صرد[5] (ت، ٦٥هـ/ ٦٨٤م) إلى وجوه أصحابه حين أراد الشخوص، فأتوه وتلاقوا بالتلاوم والتنادم فعسكوا بالنخيلة[6] إلى الكوفة ففرعوا إلى خمسة نفر من زعمائهم بينهم المسيب بن نجبة الفزارى[7] (ت، ٦٥هـ/ ٦٨٤م) فولوا أمرهم سليمان بن صرد الخزاعى، فحرضهم على الخروج عبيدالله ابن عوف بن الأحمر[8]، فقال:

صحوتُ وودعت الصِّبا والغوانيا ... وقُلت لأصحابى: أجيبوا المناديا

وقولوا له إذ قامَ يدعو إلى الهدى ... وقبل الدعا: لبيكَ لبيكَ داعيا[9]

---

(١) ابن بكار: الموفقيات، ٤٩.

(٢) هم الذين تابوا وندموا لتخاذلهم عن نصرة الحسين حين خرج على يزيد بن معاوية. ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٠٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٢٨٥؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٩٣.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٠٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٨٣.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٥١ و٥٨٢.

(٥) سليمان بن صُرج بن الجون بن أبي الجون الخزاعي قتل في عين وردة.
ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢٦؛ ابن حجر، تهذيب، ٤/ ١٧٥.

(٦) تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٢٧٨ (النخلية).

(٧) المسيب بن نجية بن ربيعة الفزاري. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢١٦؛ ابن حيان: الثقات، ٥/ ٤٣٧.

(٨) ينظر أخباره: الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٩٧.

(٩) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ١٦ وهي طويلة عنده؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٩٣.

وهو يذكر أنهم تابوا إلى الله وأنابوا إليه من الكبائر التى ارتكبوها حين لم ينصروه؛ لذا كان شعرهم صحوة نفسية غايتها التكفير والتطهير، وهى التوبة إلى الله عما فرط منهم من الذنوب والآثام[1]. إذ كان ابن الأحمر سبقهم إلى قبر الحسين وهو يرتجز:

خَـــرجن يلمعـــنَ بـــنا أرسَـــالا عَوابِـــسًا يَحملنَـــنا أبطـــالا

نُـــريد أن نَلقـــى بـــه الأقـــتالا القاسِـــطينَ الغُـــدُر والـــضُّلالا

وقـــد رَفـــضنا الأهـــلَ والأمـــوالا والخَفِـــرات البِـــيضَ والحِجـــالا

نُرضـــى بـــهِ الـــنِّعَم المِفـــضَالا[2]

يفصح هذا الشعر عن عقيدة التوابين فى رفض الأهل والأموال والنساء للتفرغ لقتال خصومهم من قتلة الحسين رضى الله عنه، فخرجوا يريدون الشام، فلما كانوا بعين وردة[3] لقيتهم خيل أهل الشام[4] فالتحموا معهم بحماس شيد واستماتة كبيرة، وكأنهم يكفرون عن ذنبهم بالموت الذى بات مطالبًا نفسيًا ووجوديًا؛ وتعبيرًا عن الإحساس بالإحباط والانكسار، ففقدوا حساسية الشعور بالصدمة أمام الموت، فهذا سليمان بن صرد يكسر جفن سيفه ويتقدم نحو أهل الشام[5] وهو يرتجز ويقول:

إلـــيكَ ربـــى تُـــبتُ مـــن ذنوبـــى وقـــد عَلانـــى فـــى الـــوَرى مـــشيبى

فـــارحم عَبـــيدًا غـــير مـــا تكذيبـــى واغفـــر ذنوبـــى ســـيدى وحوبـــى[6]

---

(١) خليف: حياة الشعر في الكوفة، ٣٨١-٣٨٣.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٩١.

(٣) عين وردة: على مقربة من الكوفة. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ١٨٠ (عين وردة).

(٤) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٩٦.

(٥) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٢.

(٦) نفسه.

ثم أخذ الراية المسيب بن نجبة وهو يقول ((فقد صدقت ووفيت بما عليك))[1].
فكان يقاتل ويرتجز:

قد عَلمت ميالة الذَّوائبِ واضحة اللَّبّاتِ والتَّرائبِ
أنّى غداةَ الرَّوعِ والتَّغَالُبِ أشجعُ مِن ذى لِبَدٍ مُواثِبِ
قَطَّاعُ أقرانٍ مُخوفُ الجانِبِ[2]

وكان يطعن فى أهل الشام ويقول:

لقد منيتُم يا أخى جلادى بيت المقام مقفص الأعادى
ليس بفرارٍ ولا حيادِ أشجعُ من ليث عرين عادى[3]

وتقدم عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدى[4] (ت، ٦٥هـ/ ٦٨٤م) فأخذ الراية فرفعها لأهل الكوفة وهو يقول:

ارحم إلهى عبدَك التَّوابا ولا تؤاخذه فقد أنابا
لا كُفةَ يبقى ولا عِراقا لا بل يريد الموت والعتابا[5]

هنا يبدو مطلب الموت ذاتيًا للمجموعة وكأنهم يدفعون بأنفسهم إلى الموت تكفيرًا عن جريرة كبيرة، وإثم عظيم، وهم البقية الباقية من أصحاب على بن أبى طالب فى الكوفة، وكأن التعبير عن التوبة لديهم بغير الموت لا قيمة له، مما جعلهم يطلبون اللقاء بربهم ومن قتل من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم[6].

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٩٩.
(٢) نفسه، ٥/ ٦٠٠؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٩٤؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت، ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، الجزء الثامن (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ٢٥٤.
(٣) ابن أعثم: الفتوح: ٦/ ٨٣.
(٤) أخباره: الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٠؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٣.
(٥) ابن عثم: الفتوح، ٦/ ٨٣.
(٦) ينظر شعر: رفاعة بن شداد البجلي، وسخر بن حذيفة عند ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٤-٨٥. وكذلك يمكن ملاحظة الإحساس بالندم عند عبيد الله الجعفي في رثائه للحسين وتقريعه لنفسه لعدم نصرته: شعراء أمويون، ١/ ١١٥-١١٦.

بعد مقتل التوابين فى عين الوردة شعر أصحابهم ومؤيدوهم بالحزن والأسى لما حصل فرووا شعرًا سمعوه فى مسيرهم ورجوعهم يعد من الشعر الذى يوثق الحدث ومن شارك فيه، وهو كما يبدو شعرٌ صَنع بعدَ تفاعلِ الأحداث وكثرة الثورات، وهو قولهم:

يـــا عـــينُ بُكـــى ابـــن الـــصردْ ... بُكـــــى إذا اللـــــيل حَمـــــدْ
كـــــان إذا الـــــبأس نكَـــــدْ ... تخالـــــــه فـــــيه أســـــدْ
مـــضى حَمـــيدًا قـــد رَشَـــدْ ... فـــى طاعـــةِ الأعلـــى الـــصَمدْ[1]

كان لرثاء من قتلوا فى عين الوردة اثره الواضح فى فحظ أحداثها واستمرار روايتها من قبل التوابين، مع التكتم عليها لحساسيتها لتعبيرها عن هواجسهم، فهذا أعشى همدان[2] يرثيهم بقصيدة بائية تعد ((إحدى المكتمات، كن يكتمن فى ذلك الزمان))[3]، ومطلعها:

ألمَ خـــيال مـــنكِ يـــا أمَّ غالِـــبِ ... فحُيِّيت عـنا مـن حبيب مجانـبِ[4]

تعد هذه القصيدة لطولها وتسلسل حوادثها من القصائد المهمة فى توثيق الأحداث التاريخية، لوضوحها ومباشرتها، وتتبعها تحرك التوابين؛ فضلًا عن تعبيرها عن أفكارهم وعقيدتهم فى التوبة. فهو يوثق حركتهم، ويكشف عن تعاطفه معهم، وعن روح القناعة بعقيدتهم، فقد كان أعشى همدان أحد الفقهاء، ثم ترك ذلك وقال الشعر[5]، فعد من الفحول[6]. فمن ذلك قوله:

---

(١) المسعودى: مروج، ٣/ ٩٥.
(٢) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن الحراث، أبو المصبح، شاعر فصيح كوفي أحد القراء الفقهاء (ت، ٨٣ هـ/ ٧٠٢م). ترجمته: الآمدى: المؤتلف، ١٢؛ الأصفهانى: الأغاني، ٦/ ٣٤.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٧.
(٤) أعشى همدان، عبدالرحمن بن عبدالله (ت، ٨٣هـ/ ٧٠٢م): الديوان: ملحق بديوان الأعشى الكبير: الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشين الآخرين (مطبعة آدُلف هُلر هوسن، بيانة، ١٩٢٧ م)، ٣١٥؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٨.
(٥) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت، ٥٩٧هـ/ ١١٩٩م): المنتظم في تواريخ الأمم، تحقيق سهيل زكار، الجزء الرابع (دار الفكر، بيروت، ١٤٥١هـ/ ١٩٩٥م)، ٣٩١.
(٦) هذا رأي الأصمعي فيه ينظر: المرزبانى: الموشح، ٣٠١.

فَـوجهَهُ نحـوَ الـثَّويةِ سـائِرًا ... إلى ابـن زِيـادٍ فـى الجموعِ الكباكِبِ

بقـومٍ هُـمُ أَهـلُ التَّقـيةِ والنُّهَـى ... مَـصَاليتُ أنجـادٍ سَـرَاةُ مَـنَاجِبِ

مَضوا تارِكى رَأى ابن طَلحَةَ حَسبَةً ... ولَـم يَـستجيبوا للأمـيرِ المُخَاطِـبِ

فَساروا وَهم مِن بَينِ مُلتمِس التُّقى ... وآخَـرَ ممَّـا جَـرَّ بـالأمسِ تائِـبِ

فلاقَوا بعينِ الـوَردَةِ الجيشَ فاصِلا ... إلـيهمُ فَحَـسُّوهم بِبـيضٍ قَواضِـبِ

يَمانِـيةٌ تَـذرى الأَكُـفَّ وتـارَةً ... بخَـيلٍ عِـتاقٍ مِـن كُـلِّ جَانِـبِ

فمـا بَـرحوا حتـى أُبـيدت سَـراتُهُمْ ... فلَـمْ يَـنْجُ مِـنهُم ثَـمَّ غَـيرُ عَـصائِبِ

وغُودِرَ أهلُ الصَّبرِ صَرعى فأصبحوا ... تَعَـاوَرَهُمْ رِيَـحُ الـصَّبا والجَـنَائِبِ

وأضـحى الخُزاعـى الـرئيسُ مُجدَّلا ... كـأَنْ لَـم يُقاتِـلْ مَـرَّةً ويُحـارِبِ

ورأسُ بَنـى شَـمْخٍ وَفـارِسُ قَـومِهِ ... شَـنُوءَةَ والتَّيمـى هَـادِى الكـتَائِبِ

وَعَمـرُوا بـنُ بِـشْرٍ والوليـدُ وخالِـدٌ ... وزيـدُ بـنُ بَكرٍ والحُليسُ بـن غالِـبِ

وضـارَبَ مِـن هُمـدان كُـلُّ مَـشيَّعٍ ... إذا شُـدَّ يـنكُلْ كَـريمُ المكاسِـبِ[1]

تسرد هذه الأبيات مجموعة ممن شارك فى الوقعة، إذ يشير إلى سليمان بن صرد الخزاعى أحد رجالاتها وصحبه، عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدى، وعبدالله بن والٍ التيمى من تيم اللات، والوليد بن عصير الكنانى، وخالد بن سعد بن نفيل... وغيرهم[2]؛ مما يكشف عن أثر الشعر فى توثيق هذا الحدث وما تبعه من متغيرات وظروف كانت سببًا فى اتخاذ عبدالملك بن مروان أسلوب الحزم والقوة لمجابهة هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الدولة.

---

(١) ديوانه، ٣١٦؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٨-٦٠٩.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٠٤-٢٠٥؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، الجزء الرابع (دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، ١٨٩.

وكان مروان بن الحكم قد أنفذ جيش بن دلجة القيني[1] إلى أهل المدينة، فوجه إليه عبدالله بن الزبير جيشًا من البصرة بقيادة واليها من قبله الحارث بن عبدالله أبى ربيعة المخزومى المعروف بالقباع[2] (ت، ٨٠هـ/ ٧٠٠م)، فوقعت موقعة الرَّبذة[3] فى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[4]، والتى قال فيها عَمرو بن حنظلة التميمى[5]:

فِدىً لامرئٍ سَوَّى حُبيشًا عَلى العَصا ... قُدامةَ قبلَ الناسِ من آلِ أَجدرَا

أناخَ لهُ شرُّ المَطايا مَطيَّةً ... وكانَ حُبيشٌ قد طغَى وتجبَّرا

وقالَ حُبيشٌ للجنودِ تقدموا ... وظَنَّ قِتالَ القومِ قَندًا وَسُكَّرا

ولما التقوا وَلَّى الشآمون هُربًا ... عِزين وأجلوا عن حُبيشٍ مُقطَّرا

وأفلتَنَا الحَجَّاحُ ركضًا ولَو بهِ ... لحقنا لغادرنا الجُرَىَّ مُغفَّرًا[6]

فانهزم جيش مروان، وكان الحجاج بن يوسف الثقفى وأبوه منهم فهربا على بعير يعتقبانه، وقُتِل عَمروٌ وصُلِبَ حُبيش، فقيل أنّهُ أولُ مصَلوبٍ فى الإسلام[7].

واشتدت شوكة الخوارج بالبصرة، فى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[8] من أصحاب نافع بن الأزرق[9]، فبعث إليهم أهل البصرة جيشًا عليه حارثة بن بدر فلقيهم، فقال لأصحابه:

---

(١) أحد بني وائل بن جُشم. البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٥٠-١٥١؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١١-٦١٢.

(٢) لقب مكيال وصفه. ترجمته: ابن حبان الثقات، ٤/ ١٢٩؛ الذهبى: سير، ٤/ ١٨١.

(٣) من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٤ (الرَّبذة).

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٥٠-١٥١؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١١-٦١٢.

(٥) عَمرو بن حنظلة التميمي البصري. ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ٤٧.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) الطبرى: تاريخ، ح ٥/ ٦١٣.

(٩) نافع بن الأزرق الحنفي، أحد قادة الخوارج قتل سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤٦٩؛ الذهبى: ميزان، ٤/ ٢٤١.

كـــــــرنبوا ودولـــــــبوا وحـــيث شـــئتم فاذهـــبوا[1]

وسبب ذلك اشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذى كان بين الأزد وربيعة وتميم، بسبب مسعود بن عمرو، وكثرة جموع الخوارج[2]، فاجتمعوا فى دولا[3]، فقال قطرى بن الفجاءة[4]:

ولـو شـهدتنى يـومَ دولاب أبـصرت علـى نائـبات الدهـر جـدُّ لئـيمِ
غـداةَ طَعـت عَ المـاءِ بكـر بـن وائـلٍ وألافِهـا مـن جمـيرٍ وسُـليمِ
ومـالَ الحجازيـون نحـوَ بلادهـم وعُجـنا صـدورَ الخـيلِ نحـو تمـيمِ
وكـانَ لعـبدِ القـيس أوَّل جـدِّها وولَّـت شـيوخُ الأزدِ فهـى تعـومُ[5]

وبعد أن كتب أهل البصرة إلى ابن الزبير يطلبون منه إمامًا عليهم وجه إليهم الحارث بن عبدالله المخزومى، وفى هذا الوقت كان ضغط الخوارج[6] شديدًا على أهل البصرة فأشاروا عليه أن يولى المهلب بن أبى صفرة[7] (ت، ٨٢هـ/ ٧٠١م) على قتال الخوارج، فقام رجل من أهل البصرة[8] منشدًا:

مضى ابن عُبيس مُسلمٌ لسبيله فقام لها الشيخ الحجازى عُثمانُ

فأرعَـد مـن قَـبلِ اللقّـاءِ ابـن معمَـرٍ وأبـرقَ، والـبرقُ الحجـازى خَـوانُ
ولم يُـنكِ عـثمانُ جـناحَ بعوضـةٍ وأضـحى عدُّو الدينِ مثل الذى كانوا

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١٣؛ ابن الكلبي، جمهورة، ٢٢٢. والبيت غير مذكور في جموع شعره.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١٣.
(٣) بينه وبين الحواز فرسخان. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٤٨٥ (دولاب).
(٤) اسمه جعونة بن مازن، أبو نعامة، قتل نحو سنة (٧٨هـ/ ٦٩٧م). ترجمته: الجاحظ: البيان، ٣/ ٢٦٤، البكرى: سمط، ١/ ٥٩٠.
(٥) شعر الخوارج، ١/ ١٠٦-١٠٧.
(٦) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١٥.
(٧) المهلب بن ظالم بن سارق بن صبح الأزدي. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ١٢٩؛ الذهبى: سير، ٤/ ٣٨٣.
(٨) الدينورى: الأخبار، ٢٧٠-٢٧١.

ولـــيس لهـــا إلا المُهلّـــب إنّـــهُ ... مَلِيء بأمرِ الحربِ، شيخُ لـه شانُ

إذا قِيل مـن يحمـى العِراقين أومـأت ... إلـــيه مَعـــدٌّ بالأكُـــفِّ، وقحطـــانُ

فـذاك أمـرؤ إن يلقهُـم يُطِـف نـارهم ... ولـيسَ لهـا إلا المهلّـبُ إنـسانُ[1]

وهذا الشعر يوثق أحداث الخوارج مع أهل البصرة، ويشير إلى قاعدة جيوشهم فى المحاربة، ويرى فى شخصية المهلب القيادية أهلًا لمناجزتهم القتال، فهزمهم المهلب فى (سِلّى وسِلّبْرَى)[2]، وأقام بالأحواز، فقال الصلتان العبدى[3]:

يـــسلّى وسِـــلّبْرى مـــصارع فتـــية ... كـرام وقتلـى لم توسـد خـدودها[4]

وقال شاعر من المسلمين يوثق هذا الحدث:

يـوم سِـلّى وسِـلّبْرى أحـاط بهـم ... مـنا صـواعق مـا تبقـى ومـا تـذر

حتـــى تـــركنا عبـــيد الله مـــنجدلا ... كمـــا تجـــدل جـــذع مـــال منقعـــر[5]

وقال أحد شعراء الخوارج:

لعمـرى لقـد بعـنا الحـياة وعيـشها ... برضـــوان رب الخلائـــق عـــالم

غـــداة نكـــر المـــشرفية فـــيهم ... بـــسولاف يـــوم المـــأزق المـــتلاحم

---

(١) نفسه، ٢٧١، ينسب هذا الشعر لابن غرَّادة وفيه إشارة إلى عثمان بن عبدالله في قتاله للخوارج، وإلى مقتل مسلم بن عُبيس القرشي في دولاب كم وثق ذلك احد الأزد. ينظر أيضًا: البلاذرى: أنساب، ٢ -٤/ ١١٥.

(٢) سلّى وسليرى: منزل من منازل الأحواز نزل به المهلب. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٣٢ (سلى وسلبرى).

(٣) هو قثم بن خيبة من عبدالقيس، شاعر حكيم (ت، ٨٠هـ/ ٧٠٠م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٤٠٨؛ المرزباني، معجم الشعراء، ٤٩.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦١٩.

(٥) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت، ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م). معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، الجزء الثالث (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، ٧٤٨. ينظر ما قاله كعب الأشقري، ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٢٦.

فإن تك قتلى يوم سلّى تتباعت فكم غادرت أسيافنا من قماقم[1]

وعن وقعة سولاف[2] يقول عبدالله بن قيس الرقيات:

تسدت وعين السوس بيني وبينها وَرزادقُ سولاف حمتُه الأزارقة[3]

ورثى أحد الخوارج نافع بن الأزرق فأشار إلى مقتله على يد المهلب فوصفه بأمير المؤمنين، وقد اتصف شعر الخوارج بالصدق والواقعية وكأنه قيل ليوثق الأحداث، فهو بعيد عن الصنعة والمحاباة والتكلف فهو يشير إلى أهدافه بصورة مباشرة، لذلك يلتقى مع شعر الفرسان فى خضوعه للسليقة واستجابته المباشرة للحدث، ومن ذلك قول أحدهم:

شَمِتَ المُهلب والحوادُ ثمّةٌ والشامتون بنافع بن الأزرقِ

أن ماتَ غير مُداهن فى دينهِ ومتى يمرُّ بذكر نارٍ يصعق

والموتُ أمرٌ لا محالةَ واقِعُ من لا يصبّحه نهارًا يَطرقُ

ورمى المهلّب جمعنا بجموعِهِ لما أصبنا بالصَّبورِ المتقي

فلئن أمير المؤمنين أصابَهُ ريبُ المنونِ فمن يُصبه يغلَقِ[4]

يتصف شعر الرثاء عند الخوارج بالاستهانة بالموت، وعدم المداهنة أو المراءاة، لأن شعرهم يهتم بإبراز ملامح الإقدام والجرأة، والقدرة على تحدى الخصم من أجل الأهداف التى يؤمنون بها، وهذا ما أبعده عن البكائيات وجعله توكيدًا حيًا للعقيدة عندهم، كما تعكس ذلك المراثي[5] التى قيلت فيمن قتل مع نافع بن الأزرق.

---

(١) الأبيَات من شعر بعيدة بن هلال اليشكري، شعر الخوارج: ص٩٢. ينظر روايتها عند ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ١٩.

(٢) قرية غربي دجيل. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٨٥ (سولاف).

(٣) ديوانه، ١٦٢.

(٤) شعر الخوارج، ٧٢؛ الدينورى: الأخبار، ٢٧٤.

(٥) ينظر حول: رثاء عمرة لابنها عمران بن الحارث الراسبي، ورثاء الحارث بن كعب الشني لعون بن أحمد الضبعي. شعر الخوارج، ٧٣-٧٤.

وفى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[١] خالف من كان بخراسان من بنى تميم عبدالله بن حازم (ت، ٧٢هـ/ ٦٩١م) حتى وقعت الحرب بينهم، فقاتله الحَريش بن هلال القريعى[٢] سنتين. فقال بعض شعراء تميم:

فلو كُنتم مثل الحَريش صَبرتمُ ... وكُنتم بقصرِ الملح خيرَ فوارسِ
إذًا لسقيتم بالعوالى ابن خازمٍ ... سجالَ دومٍ يُورثنَ طُوَال وَساوِسِ[٣]

فوثق الشعر شخصيتى المتحاربين، كما أشار فخر الحريش إلى هياته الخارجية وإلى مدة الحرب بين الطَّرفين التى هى حولان، إذ يقول حريش:

أزالَ عظمَ يمينى عن مركَبهِ ... حملَ الرُّدينى فى الأدلاجِ والسَّحرِ
حَولين ما اغتمضت عينى بمنزلةٍ ... إلا وكفِّى وسادٌ لى على حَجَرِ
بَزّى الحديدُ وسربالى إذا هَجعت ... عنى العيونُ مِحالُ القارحِ الذَّكَرِ[٤]

وحاصر عبدالله بن خازم رجال بنى تميم بخراسان بسبب مقتل ابنه محمد سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م)[٥] فقال الحريش بن هلال:

أعاذِلَ إنى لم أُلِم فى قتالِهم ... وقد عضَّ سيفى كبشَهم ثم صَمَّما
أعاذِلَ ما ولَّيتُ حتى تَبدَّدت ... رجالٌ وحتى لم أجِد متقدَّما
أعاذِلَ أفنانى السلاح ومَن يُطِل ... مقارَعَةَ الأبطالِ تَرجعُ مكلِّما
أعينى إن أذرفتما الدَّمعَ فاسكنا ... دَمًا لازمًا لى دونَ أن تسكُبا الدَّما
ابعدَ زهيرٍ وابنِ بشرٍ تتابُعًا ... وورْدٍ أرجَى فى خراسانَ مَغنمَا

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٢٤.
(٢) حريش بن هلال بن قدامة، من فرسان بني تميم. ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ١/ ٢٥٧؛ ابن خلكان: وفيات، ٦/ ٢٨٤.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٢٦.
(٤) نفسه، ٥/ ٦٢٦.
(٥) نفسه، ٦/ ٧٦.

أعاذل كم من يوم حربٍ شهدته أكر إذا ما فارس السوء أحجما[1]

وفى سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م)[2] أعلن المختار بن أبى[3] عبيد (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) خروجه فى الكوفة مطالبًا بالثأر لدم الحسين بن على فأخرج عامل ابن الزبير منها، وكان المختار بايع الحسين فيمن بايعه من أهل الكوفة[4]. فأصبح خروجه لخروج التوابين، ورافدًا من روافد التمرد على الدولة الأموية بعد نشوب الاضطرابات والفتن التى فجرها تحول نظام الخلافة من الشورى إلى الوراثة. ولأن الكوفة كانت مركزًا مهمًا من مراكز الدولة العربية الإسلامية، وصارت عاصمة لها فى عصر الخليفة الراشدى الرابع على بن أبى طالب فقد كانت مهيأة للوثوب على ابن الزبير والأمويين فقد كان المختار يلبس سلاحه ويرتجز:

قد علمت بيضاءُ حسنأُ الطَّلَل واضحة الخَدَّينِ عجزاءُ الكَفَلْ

إنى غَداة الرَّوع مِقدام بَطَل لا عاجِزٌ فيها ولا وَغدٌ فَشَل[5]

مهما يعبر عن حماسه واندفاعه من أجل تحقيق أهدافه؛ لأن ثورته تُعَدُّ من أكثر أحداث القرن الأول الهجري/ السابع الميلادى أهمية[6]، فكان خروج المختار بعد أن

---

(١) نفسه، ٦/ ٨٠ وميعني بـ (زهير، ابن بشر، ورد): زهير بن ذؤيب، وعثمان بن بشر المازني، وورد بن الفلق العنبري.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٧.

(٣) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٠٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٥/ ١٢٢.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٦٩.

(٥) المختار بن أبي عبيد الثقفي (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م): شعره، شعراء ثقيف في العصر الأموي، تحقيق عيضة ابن عبدالعزيز الضَّواط (نادي الطائف، طبع بمطابع شركة دار العلم، جدة، دون تاريخ)، ٢٧٢؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٠؛ ابن أعثم: الفتوح: ٧٦/ ١٠٣.

(٦) دكسن، عبدالأمير عبدحسين: الخلافة الأموية ٦٥هـ - ٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م، دراسة سياسية (دار النهضة، بيروت، الطبعة الولى، ١٩٧٣م)، ٥٥.

دعا عبدالله بن مطيع ابن الأسود[1] لابن الزبير فى الكوفة ولم يسمه. وقال بايعوا لأمير المؤمنين فقال عبدالله بن هَمام السلولى:

دعــا ابــن مطــيْع للبــياع فجئــتُهُ ... إلى بــيعةٍ قلبــى لهــا غــيرُ عــارفِ
فأخــرج لى خــشناء حــيث لمــستها ... من الخُشنِ ليست من أكُف الخلائفِ
معــاودةٍ ضــربَ الهــراوى لقــومها ... فــرودًا إذا مــا كــان يَــومُ التــسايفِ
ولم يُــسم إذ بايعــتُه مــن خلــيفتي ... ولم يَــشتَرِط إلّــا اشــتراطَ المجــازفِ[2]

ولما بلغ ابن مطيع عزم المختار بالخروج بعث راشد بن إياس بن مضارب مكان أبيه إياس ابن مضارب الذى كان فى شُرطه فقتله أصحاب المختار[3]، فقالت أخته ترثيه:

لحى الله قومًا أسلموا أمسِ راشدًا ... بجــبّانة الــدّارين عِــندَ مُــرادِ
فــلا وَلَــدت عِجلــيّةٌ بعــد راشِــدٍ ... غُلامًــا ولا حَلّــت بِــصَوتٍ رِعــادِ[4]

فلما صار القتال فى سككِ الكوفة وأحيائها، حُصِر عبدالله بن هَمَّام السلولى فى قَصر الإمارة فتدلى منه[5]، فقال:

لمــا رأيــتُ القــصرَ أُغلــق بابُــه ... وتــوكلَت هَمــدانُ بالأســبابِ
ورأيــتُ أصــحابَ الدقــيقِ كــأنّهم ... حــولَ البــيوتِ ثعالِــبُ الأســراب
ورأيــتُ أفــواهَ الأزقــةِ حولــنا ... مُلــئت بكــلِّ هَــراوَةٍ وذُبــابِ
أيقــنتُ أن إمــارَة ابــن مُــضَاربٍ ... لم يــبقَ مــنها فَــيشُ أيــرِ ذُبــابِ[6]

---

(١) عبدالله بن مطيع بن الأسود القرشي (ت، ٧٣هـ/ ٦٩٢م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤٧؛ ابن حجر: تهذيب، ٦/ ٣٦.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٠.

(٣) نفسه: ٥/ ٢٢٤-٢٢٥. ينظر أيضًا أخبار إياس بن مضارب وابنه راشد.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٦. وجبانة الدارين أحد أحياء الكوفة.

(٥) نفسه، ٥/ ٢٢٠.

(٦) ما تبقى من شعره، ١٨٦؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٠.

يشير هذا الشعر إلى الأحداث التى عاشتها الكوفة، ومثلما أشرا فى موضع آخر إلى اشتداد قوة المختار وكثرة أنصاره، فقد كان السلولى معتزلا فاستًا من له[1]، فجاء إليه ذات يوم ومدحه:

وفى لسلةِ المختارِ ما يُذهلُ الفَتى ... ويلهيهِ عن رُؤدِ الشَّبابِ شُموعُ

دعا يا لثاراتِ الحسين فأقبلَت ... كتائِبُ من هَمدان بعدَ هُزيعِ

ومن مذحجٍ جاء الرئيس ابن مالكٍ ... يقود جُموعًا عبئت لجموعِ

ومن أسدٍ وافى يزيدُ لنصرهِ ... بكلِّ فتًى ماضى الجَنانِ منيعِ

وجاءَ نعيم شيبان كُلّها ... بأمرٍ لدى الهيجاءِ جِدُّ جميعُ

وما ابن شُميط إذ يحرِّضُ قَومَهُ ... هناك بمخذول ولا بمُضيعِ[2]

يوثق هذا الشعر القبائل والأشخاص ممن ساند المختار، فقد وقفت القبائل اليمانية ضده بسبب دعوة المختار للمساواة بين الموالى والأشراف، كما أشار إلى عقيدته الكيسانية[3] بوصف المختار وزير الوصى والمعبر عن فكرة بقاء الخلافة فى بنى هاشم:

فمنَّ وزيرُ ابن الوصى عليهم ... وكان لَهم فى الناسِ خيرَ شفيعِ

وآب الهُدى حَقًّا إلى مستقرهِ ... بخيرِ إيابٍ آبَهُ ورجوعِ

إلى الهاشمى المُهتدى المُهتدى بهِ ... فنحنُ له من سامٍ ومطيعِ[4]

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥.

(٢) ما تبقى من شعره، ١٩٦؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤.

(٣) هم الذين قالوا بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية، وان الوصاية انتقلت إليه من أخيه الحسين قبل خروجه إلى الكوفة. ينظر: البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت، ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م): الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (مطبعة المدني، القاهرة، دون تاريخ)، ٤٣.

(٤) السلولى: ما تبقى من شعره، ١٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥-٣٦.

فلما أنشدها المختار، قال المختار لأصحابه: ((قد أثنى عليكم كما تسمعون، وقد أحسن الثناء عليكم، فأحسنوا له الجزاء))[1]. فقد كان المختار يحاول أن يكسب ودَّ الشعراء والفقراء من الناس لكى يمنح إجراءاته طابعًا شعبيًا تستجيب لمطامح السواد الأعظم من الناس، فأخذ الشعراء يصرحون بظلم القباع، وهو الحارث بن عبدالله بن أبى ربيعة، والى ابن الزبير على البصرة، فهذا الأُقَيْشِرُ الأسديُّ[2] (ت، ٨٠هـ/ ٦٩٩م) يقول:

إلى جيش أهل الشام أغزيت كارهًا ... سفاهًا بلا سيف حديد ولا نبل

ولكن بترس ليس فيها حمالة ... ورمح ضعيف الزج منصدع النصل

حبانى بها ظلم القباع ولم أجد ... وسلمت تسليم الغزاة على أهلي[3]

وقال شبث بن ربعى أيضًا:

أبعد القُباع آمنُ الدهرَ صاحِبًا ... على سُوءَةٍ إنى إذًا لغبينُ

وأمُّك سوداء الجواهِر جَعدةٌ ... لها شبهٌ فى منخريكَ مُبينُ[4]

فلما سار إبراهيم بن الأشتر[5] (ت، ٧٢هـ/ ٦٩١م) يريد الموصل تواطأ أهل الكوفة على حرب المختار، وقالوا: إنما هذا كاهن، وبلغ من فى جبانة السبيع[6] أن المختار قد عزم على معالجتهم فأقسموا على من فى النواحى من الأشراف اليمانية أن

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٦.

(٢) هو المغيرة بن عبدالله بن معرض، وقيل: المغيرة بن أسود بن مطيع الأسدي. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٦٣؛ الأصفهانى: الأغاني، ١١/ ٣٢٥.

(٣) الأقُيشر الأسدي، المغيرة بن عبدالله (ت، ٨٠هـ/ ٦٩٩م): أخباره وأشعاره، تحقيق الطيب العشاش، مجلة جوليات الجامعة التونسية، العدد (٨)، (تونس، ١٩٧١م)، ٨٢.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٧٥.

(٥) إبراهيم بن مالك بن الأشتر، قتل مع مصعب بن الزبير. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٦/ ٥؛ الذهبى: سير ٤/ ٣٥.

(٦) محلة في الكوفة مسماة بقبيلة السَّبيع رهط أبي إسحق السبيعي. ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ١٨٧ (السبيع).

يصيروا بأصحابهم إليهم فتواقف اليمانية فى جبانة السبيع[1] وكان رفاعة بن شداد البجلى[2] مع المختار يرتجز فى جبانة السبيع مشيرًا إلى عقيدته:

أنا ابن شَدَّاد على دينِ علي ... لَستُ لعثمانَ بن أَروى بولِي
لأصلينَّ اليوم فِيمن يصطلي ... بحرِّ نارِ الحرب؟ غيرَ مُلتوى[3]

وحين هزم أهل جبانة السبيع استخرج من دور الوادعين من همدان خمس مائة أسير فأتى بهم المختار فقتل منهم من كان شهد مقتل الحسين، وكان سراقة بن مرداس البارقى[4] (ت، ٢٧٩هـ/ ٦٩٨م) صنع لسان[5]، فجعل يقول:

أمنُن على يا خيرَ مَعَدٍّ ... وخيرَ مَن لَبَّى وحيًّا وسَجَدْ[6]

فأمر به فحبس ليلاً ثم خلاه، فقال شعرًا ذكر فيه أنه رأى الملائكة تقاتل مع المختار على خيل بلق، فأمر أن يصعد المنبر فيعلم الناس ما رأى[7]، فقال:

ألا أخبر أبا إسحاق أنا ... نزونا نزوةً كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئًا ... وكان خُوجنا بَطرًا وحَينا
نراهُم فى مصافِّهِم قليلاً ... وهم مثلُ الدُّبى حين التقينا
برزنا إذ رأيناهُم فلّما ... رأينا القومَ قد برزُوا إلينا
لقينا منُهُم ضربًا وطعنًا ... وطعنًا صائبًا حتى انثَنينا[8]

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣١-٢٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦٥/ ٢٨-٢٩.
(٢) رفاعة بن رافع بن عبدالله بن قيس. ينظر: ابن حجر: تهذيب، ٣/ ٢٤٢.
(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٥٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٠.
(٤) شاعر من العصر الأموي مشهور. ترجمته: الآمدى: المؤتلف، ١٩٧؛ السيوطى: شرح، ١/ ١٠٤.
(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤.
(٦) البارقي، سراقة بن مرداس (ت، ٧٩هـ/ ٦٨٩م). ديوانه، تحقيق حسين نصار (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هت/ ١٩٤٧م)، ٧٤؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤ ؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٤.
(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٥.
(٨) البارقى: ديوانه، ٧٦؛ ينظر تمام القصيدة: ٧٧. وأبو إسحق كنية المختار؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٤.

فأطلق سراحه، فخرج من الكوفة هاربًا إلى البصرة، وفيها مؤيدو ابن الزبير، وهو يقول:

أبلـــغ أبـــا إســـحق أنـــى ... رأيـــتُ الـــبلق دهمًـــا مـــصمتاتِ
كفـرتُ بوحـيكم وجعلـتُ نـذرًا ... علـــى قـــتالِكم حتـــى الممـــاتِ
أرى عينـــى مـــا لم تَـــرَ إيـــاه ... كلانـــا عـــالِمٌ بالترهـــاتِ
إذا قالـــوا: أقـــول كـــم كذبـــتم ... وإن خَـرجوا لِيست لهـم أداتـى[1]

ويبدو أن راقة ابتدع حديث الخيل البلق من عنده، لذا عَرَّض بالمختار حين هرب، ولكن الحادثة شاعت مع شعره، فكانت أحد أسباب اتهام المختار بالكذب، وادعائه بأن الشام ستفتح له ويهدم مدينة دمشق حجرًا حجرًا[2]، وهذا ما يجعل شعر سراقة البارقى جزءًا متممًا، ووثيقة مهمة فى تدوين الأحداث. لكن الاختلاف فى موقف المختار نفسه منها يثير الشكوك، فبعضهم يروى أن المختار قال: "من يخرج سرى إلى الناس"[3] أوقال: "أما أن الرجل قد عاين الملائكة! خلوا سبيله"[4].

ثم تجرد المختار لملاحقة قتلة الحسين[5] فأصبح يتابعهم، فقتل بعضهم كما ذكر سراقة بقوله:

لم أر مـثل الخـيل خـيل ابـن محـنفـ ... غـداة انتدى بالـشاكرى ابـن كامل[6]

---

(١) البارقي، ديوانه: ص٧٦٨؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٥.

(٢) ينظر: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): عيون الأخبار، الجزء الأول (نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٤م)، ٢٠٣؛ الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحق (ت، ٣٤٥هـ/ ٩٥١م): أمالي الزجاجي، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (المؤسسة العربية الحديثة للطبع والتوزيع، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ)، ٨٧.

(٣) الزجاجى: الأمالي، ٨٧.

(٤) الينورى: الأخبار، ٣٠٣؛ الأصفهانى: الأغانى: ٩/ ١٣.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٧.

(٦) ديوانه: ٨٠ وينظر تمام القصيدة، والشاكرين: هو عبدالله بن كامل، البلاذري، أنساب، ٥/ ٢٤٠.

وقال أعشى همدان:

يا عين بَكى فتى الفتيان عثمانَا ... لا يبعدنَّ الفتى من آلِ دُهمَانا
واذكر فتى ماجِدًا حُلّوًا شمائلُهُ ... ما مثله فارِسٌ فى آلِ همدانا[1]

وحين قتل عمر بن سعد بكته ابنته حميدة[2] فقالت:

لو كان غير أخى قَسى غَرّهُ ... أو غيرُ يَمنٍ وغيرُ الأعجم
سخّى بنفسى ذاك شيئًا فاعلموا ... عنه وما البطريق مثلُ الألأم
أعطى ابن سعد فى الصحيفة وابنَه ... عهدًا يلينُ له جناحُ الأرقم[3]

وفى الشعر إشارة إلى المختار وقومه بنى ثقيف، وغلى فكرة الوحى المستوحاة من المسيحية، من خلال ذكر الشعراء للبطريق والأحبار، كما قال المتوكل الليثي[4] (ت، نحو ٨٥هـ/ ٧٠٤م):

قتلوا حسينًا ثم همو يعنونَهُ ... إن الزمانَ بأهلهِ أطوارُ
لا تبعدن بالطّفِ قتلى ضُيِّعت ... وسقَى الله مساكِنَ هامِها الأمطارُ
ما شروطةُ الدجال تحت ... لوائِهِ بأضلَّ ممن غرَّه المختارُ
ابنى قسى أوثقوا رجالَكم ... يُجلَ الغبارُ وأنتم أحرارُ
لو كان عُلمُ الغيبِ عند أخيكُم ... لتواطّأت لكُم بهِ الأحبارُ
ولو كان أمرًا بينًا فيما مضى ... تأتى به الأنباءُ والأخبارُ
إنى لأرجو أن يُكذِّبَ وحيكُم ... طَعنٌ يَشُقُّ عصاكُم وحِصارُ[5]

---

(١) ديوانه: ٣٤٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩.
(٣) نفسه.
(٤) المتوكل بن عبدالله الليثي من شعراء الإسلام. ترجمته: ابن سلام: الطبقات، ٢/ ٢٨١؛ الآمدى: المؤتلف، ٢٧٢.
(٥) المتوكل بن عبدالله الليثي (ت، نحو ٨٥هـ/ ٧٠٤م): شعره، تحقيق يحيى الجبوري (مطابع التعاونية للبنانية، دار عون – حريصًا، الناشر مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧١م)، ٢٥٤-٢٥٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٧٠-٧١.

مما يعبر عن توجس الناس من مصداقية المختار وأفكاره؛ وبخاصة وإنه بدأ مهادنًا لابن الزبير، ثم راح يدعو لنفسه، فقد أخذت البيعة له فى البصرة[1]، ثم دعوته للموالى حتى قال الأحنف بن قيس لبعض أهل الكوفة: قد أنقذناكم من أيدى عبيدكم من أصحاب المختار[2]. فكانت دعوته رد فعل ضد التمييز الطبقى، لذا لقيت استجابة من الموالى الذين يشعرون بالغبن حتى أن أعشى همدان خاطب السادة ومن شايعهم من أمثال الأحنف بن قيس زعيم بنى تميم، فقال:

أفخـــرتم أن قتلـــتم أعـــبدًا ... وهَـــزمتم مـــرَّة آلَ عَـــزَلْ[3]

ثم بعث المختار جيشًا للمكر بابن الزبير، وهو مظهر أنه وجههم معونة له لمقاتلة الجيش الذى كان عبد الملك بن مروان وجهه إليه[4]. وحينها أعظمت ربيعة قتل إياس وابنه، وقالوا يقتل بهما إبراهيم بن الأشتر[5]، فقال سراقة البارقى:

أتـــوعدنا ربـــيعة فـــى إيـــاسٍ ... وأى الدهـــرِ أوعـــدنا قبـــيلُ
حـــرورى تكـــنُفه المـــوالى ... وعـــضٌ براســـهِ ســـيفٌ ثقـــيلُ
وإبـــراهيم معتـــزُ هزبـــرٌ ... لـــه فـــئة تقـــولُ كمـــا تقـــولُ
يَمانـــيةٌ تـــذود النـــاسِ عـــنه ... وتخطـــرُ فـــى جوانـــبها الفُحـــولُ[6]

فهو يذكر ربيعة مطالبتها بدم إياس[7]، وصلة المختار بالحرورية؛ لأنه نادى بالموالى كما نادى الخوارج وأشار إلى إبراهيم بن الأشتر، نصرة قبائل اليمن له؛ هذا يعبر أن بعض الفئات الاجتماعية التى كانت تشعر بالحرمان وينتابها الإحساس

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦٦.
(٢) نفسه، ٦/ ٦٩.
(٣) أعشى همدان: ديوانه، ٣٣٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦٩.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٧١.
(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٧.
(٦) ديوانه: ص٨٣؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٧.
(٧) هو أبو راشد بن إياس بن مضارب. ينظر رثاء أخته له: نفسه. ـــ ٥/ ٢٢٦.

بالظلم وجدت فى ثورة المختار متنفسًا، فكانت نصرته للموالى محاولة لكسب تأييدهم، لكنها أزعجت بعض العرب وزعماء القبائل الذين يرون فى المساواة بين الموالى وغيرهم إساءة لهم، وثورة على المقاييس، فضلًا عن كونها فجرت روح التمرُّد؛ ولأجل أن يمنح نفسه شرعية وقداسة، ومع ذلك فثمة تناقض واضح فى محاولته التوفيق بين الأشراف والموالي[1]، لذا اتخذ من نصرته لآل على وسيلة لتمرير هذا التناقض ومنحه الشرعية من خلال الدعوة لمحمد بن الحنفية (ت، نحو ٨١ هـ/ ٧٠٠م)، وإظهار أمر الكرسى فى حربه مع أهل الشام[2]، فكان أصحاب المختار يعكفون عليه ويقولون هو بمنزلة تابوت موسى فيه السكينة ويستسقون به ويستنصرون ويقدمونه أمامهم إذا أرادوا أمرًا[3]، فقال أعشى همدان:

شهدت عليكم أنكم سبئية ... وإنّى بكم يا شُرطَة الكُفرِ عارِفُ
وأُقسِم ما كرسيكُم بسيكنةٍ ... وإن كانَ قد لُفّت عليهِ اللّفائِفُ
وأن ليس كالتابوتِ فينا وإن سَعَت ... سَنَامٌ حواليه وفيهم زخارِفُ[4]

ثم يشير إلى ولائه لآل الزبير، وحبه لآل محمد، ويبدو أن الحرب الإعلامية التى قادها شعراء الزبيريين ضد المختار وجدت أسلوب الطعن فى عقيدة المختار وانحيازه إلى الموالى متنفسًا قويًا لتأليب الناس عليه؛ فضلاً عن شكوكها بمصداقية ما طرحه على الصعيدين السياسى والدينى، وقد وجد فى الدعوة لآل على فرصة لتثبيت وجوده، ونسبة الكرسى، فقال المتوكل الليثى بمثل ما قال به أعشى همدان:

أبلغ أبا إسحق إن جئتَهُ ... أنى بكرسيِّكم كافرُ

---

(١) دكسن: الخلافة الأموية، ٨٣.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨٣.
(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤٢.
(٤) ديوانه: ص٣٣٤. وفي بعض الروايات سبئية أو خشبية بدل سلبية، وهي الأَصح، وشبام بدل سنام ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨٣.

تنـــزو شِـــبأم حـــول أعـــواده وتحمِـــل الوَحـــى لـــه شـــاكِرُ[1]

بعد فراغ المختار من حربه فى جبانة السبيع والكناسة[2]، وما تلاها من أحداث خلال هذه السنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م)[3] شخص إبراهيم بن الأشتر متوجهًا إلى عبيد الله بن زياد لحربه، فقال المختار:

أمَـــا وربِّ المُرسَـــلات عُـــرفًا لنقـــتُلَنَّ بعـــد صَـــدٍّ صَـــفًا
وبعـــدَ ألـــفٍ قاســـطِينَ ألفًـــا[4]

ففى سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م)[5] كان مقتل عبيدالله بن زياد فى معركة على شاطئ خازر[6]، فأكد ابن الزَّبير الأسدى على هذه الوقعة فى مدحه لابن الأشتر فقال:

وأقـــرَّ عيـــنَك يـــوم وقعـــةِ خـــازِرٍ والخـــيلُ تعثـــرُ بالقَـــنا المُتكَـــسِّرِ[7]

ووثق ابن مفرغ مقتله بالزاب فقال:

إن الـــذى عـــاش خـــتّارًا بذمـــتهِ ومـــات عَـــبدًا قتـــيلُ اللهِ بالـــزابِ
العـــبدُ للعـــبدِ لا أصـــلٌ ولا طَـــرَفٌ ألـــوَت بـــه ذات أظفـــارٍ وأنـــيابِ[8]

وقال سراقة البارقى:

---

(١) ديوانه، ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) محلة بالكوفة. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٨١ (كُناسة).

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨١.

(٤) تمامها عند ابن أعثم، وروايتها مختلفة بين المختار وإبراهيم الأشتر وبعض الشعراء. ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨١؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ١٥٩-١٦٠.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٨٦.

(٦) خازر: نهر بين أربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٣٧ (خازر).

(٧) ديوانه، ٩١. ووصف عمير بن الحباب هذه الوقعة بأنها انتصاف من قبائل اليمن عن يوم مُرج راهط. ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٨.

(٨) ديوانه، ٨١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٥١. وينظر فيه ما قاله عقيبة الأسدى: ٢-٤/ ٨٧.

فـيا ابـنَ زيـادٍ بُـؤ بـأعظمِ مالـكِ ... ودُقَ حـدَّ ماضِـى الـشَّفرتين صَـقيلِ
ضربناكَ بالعَضْبِ الحُسامِ فَلم نضجِرْ ... إذا مـــا أبأنـــا قاتِلًـــا بقتـــيلِ
جـزى الله خـيرًا شُـرطة الله إنهـم ... شـفوا مـن عبيد الله أمسِ غليلِى[1]

يوثق هذا حادثة مقتل عبيدالله بن زياد (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) بوضوح ويشير إليه باسمه، وهو أنه مولى أو عبد، كما أرَّخ الشعر لمقتل آخرين، أو اشتراكهم فيها مثل مقتل شمر بن ذى الجوشن، وعثمان بن خالد الجنى، واشتراك داود بن عروة الدمشقى من أنصار ابن زياد، والأحوص بن شداد الهمدانى من أنصار المختار[2]، كما أشار هذا الشعر إلى قوة شوكة القبائل القحطانية ومحاولتها الحد من سلطان القبائل العدنانية، كما فى قول ابن الزَّبير الأسدى:

تـركتم أبـا إحـسان تُهـدم داره ... منـبَّذة أبـوابُها وحديـدُها
فلو كان من قحطان أسماء شمّرت ... كتائِبُ من قحطان صُعرٌ خدودُها[3]

كما حاول أيمن بن خريم أن يسرد بلاء قبيلته بنى أسد من الأحداث فتتبعها فى قصيدة له:

غـارات أشـتر فـى الخـيول يـريدكم ... بمعـــرةٍ ومـــضرَّة وفـــسادِ[4]

جاء الخطر هذه المرة من البصرة حيث مصعب بن الزبير[5] (ت، ٧٢هـ/ ٦٩١م)

---

(١) ديوانه، ٨١-٨٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٩٢.

(٢) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٨-٢٤١؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ١٧٧-١٧٨؛ ابن كثير: البداية، ٨/ ٢٧٠-٢٧٣. ولعل رثاء أعشى همدان أوضح من أرخ لمقتل عثمان بن خالد الجهني، ينظر: جيوانه، ٢٤٢.

(٣) ديوانه، ٧٧-٧٨؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٤١. ويمكن ملاحظة إجابة أيوب بن سعنة النجعي له في هذا المكان والشعر يشير إلى هروب سماء بن خارجة وهدم داره.

(٤) شعره، ٢٥. وينظر: تمام القصيدة، وذكره للمواقع التي كان يجوبها.

(٥) مصعب بن الزبير بن العوام قائد وفارس مشهور. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤١٠؛ الذهبى: سير، ٢/ ١٤٠.

الذى أخذ على عاتقه مقاتلة المختار واتباعه لضبط العراق لأخيه فاستطاع احتلال قصر الإمارة، والمباشرة بملاحقة أصحاب المختار، فقال رجل:

ما كنت أخشى أن أرى أسيرًا ولا أرى مدمرًا تَدميرا

إن الذين خالفوا الأميرا قد رغموا وتبّروا تتبيرا[1]

وزعم بعضهم أن شبث بن ربعى قتل فى جبانة السبيع، واحتج بشعر أعشى همدان[2]، حين يقول:

وأضحى ابن ربعى قتيلاً مجدلاً كأن لم يقاتل مرة ويحارب[3]

ومن نفى قتل شبث يومئذ روى البيت:

فأضحى ابن صهبان قتيلًا مجدلا[4]

ولكن شيث بن ربعى يستنجد بمصعب سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م)[5] وذلك فى وقعة المذَار[6] فى حربه مع المختار حيث يقتل أحمد بن شميط كما فى قول بعض الشعراء:

ونحن قتلنا أحمرَ وجموعه وقد كان قتال الكماة مظفرًا[7]

ويقول أعشى همدان:

ألا هل أتاك والأنباء تُنمى بما لاَقت بجيلَةُ بالمَذارِ[8]

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ١٩٨. وقيل إن الشعر لعبدالرحمن بن الشعث. ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٠٨.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤.

(٣) ديوانه، ٣١٦؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٥.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٥.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١ذ/ ٢٦٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٥٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٩٤.

(٦) في ميسان بين واسط والبصرة. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٨٨ (المَذَار).

(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٥٥. ينظر حول أحمد بن شميط الأحمسي، ٥/ ٢٥٣.

(٨) ديوانه: ٣٣٠؛ البلاذرى: ٥/ ٢٥٤؛ الدينورى: الأخبار، ٣٠٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٩٧.

ومر المختار فى أصحابه على محمد بن الأشعث[1] ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) فقال لهم: ((يا شرطة الله كروا على الثعالب الرواغة فحملوا))[2] فقتل محمد بن الأشعث، فقال أعشى همدان:

وقـــام نعـــاةُ أبـــى قاســـمٍ فأســـبل بالدمـــع تحـــدارها
فحـقٌّ العـيونِ علـى ابـن الأشـجِ أن لا يُفتُـــر تقطارُهـــا[3]

تعد هذه القصيدة من شعر الوثائق التاريخية المهمة التى تشرح هذه الوقعة فتكشف عن فكر المختار السياسى الذى استجمع الموالى وحاول أن يستفيد من الظروف الاقتصادية للفِئات الفقيرة من الناس، وحاول أن يستخدم الكرسى وسيلة لبث دعواه، حتى سمى بالسَّحار والكذاب؛ لذا اشتد أصحاب مصعب بن الزبير فى طلبه، فكان يقاتل ابن الأشعث ويرتجز مفتخرًا:

إن يقتلونـــى تجـــدوا لى جـــزورا محمـــــدًا قتلـــــتَه وعُمـــــرا
والأبـــرص الجاهـــل لمـــا أدبـــرا[4]

فقتل المختار فى هذه السنة رجلين من بين حنيفة[5]. فقال سويد بن أبى كاهل[6] (ت، ٦٠هـ/ ٦٨٠م) يذكر ذلك:

يـا لـيتَ شِـعرى مَتـى تَغـدو مخيّـسةٌ مـــنا فتـــبلغُ أهـــلَ الموســـم الخـــيرا
أنـــا جـــزرنا علـــى الكـــذاب هامـــتَه من بعد طَعنٍ وضَربٍ يكشفُ الخمرا[7]

---

(١) محمد بن عبدالرحمن بن الأشعث الكندي. ترجمته: ابن الكلبي، جمهرة، ٢٥٦؛ ابن حجر: تهذيب، ٩ / ٢٥٩.
(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٠.
(٣) ديوانه، ٣٣١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٠. وابن الأشج هو ابن الأشعث.
(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٢.
(٥) البلاذرى: أنسبا، ٥/ ٢٦٢؛ البددينورى: الأخبار، ٣٠٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٠٨.
(٦) سويد بن غطيف من يشكر شاعر. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٣٣٤؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٣/ ١٠٠.
(٧) الدينورى: الأخبار، ٣٠٨.

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح مصعب بن الزبير:

والـذى نغـصُّ ابـن دَومَـة كمـا تـو ... حـى الـشياطين والـسيوف ظِمـاءُ
فأبـاحَ العِـراق يـضربهم بالـسـ ... ـف صَـلتًا فـوى الـضَّرابو غِـلاءُ[1]

وقال العجاج[2] يهجو المختار ويمدح مصعبًا:

لَقَـد وجـدتم مُـصعبًا مستـصعبا ... حـين رمـى الأحـزابَ والمُحـزَّبا
وخـشبى الأعجَـم المخـشَّبا ... والـدَّرابَ ذا البُنـيانِ والمُـدَرَّبا
وابـن أبـى عبـيد المكـذبا ... والـسبئى والمـراش المذنـبا[3]

وقال مسكين الدارمى، وكن قد هرب من المختار:

لهـف نفـسى علـى شبابو قـريشٍ ... حـينُ يأتـى برأسـه المختـارُ[4]

وعندما أمر مصعب بن الزبير بضرب عنقِ عُمرة بنت النعمان بن بشير سنة (٦٧ هـ/ ٦٨٦م)[5] امرأة المختار قال عمر بن أبى ربيعة[6]:

إن مـن أكـبر الكبائـرِ عـندى ... قـتل بيـضاءَ حُرّضـة عُطـبولُ
قُـتلت باطِلًـا علـى غـير ذنـبٍ ... إن للهِ دُرُّهـا مـن قتـيلِ
كُـتِبَ القـتلُ والقـتالُ علينـا ... وعلـى الغانـياتِ جَـرُّ الذُيـولِ[7]

---

(١) ديوانه، ٩٠ وقد شبه مصعبًا بالشهاب؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٧٠ وابن دومة هو المختار.

(٢) هو عبدالله بن رؤبة من بني مالك من تميم. شاعر أموي سمي لبيت قاله (ت، نحو ٩٠هـ/ ٨٠٨م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٧٣٨؛ الأصفهانى: الغاني، ٢٠/ ٣٢٠.

(٣) العجاج، عبدالله بن رؤبة (ت، نحو ٩٠هـ/ ٧٠٨م): ديوانه، تحقيق عزة حسن)كتبة دار الشرق، بيروت، ١٩٧١م)، ٩٤٠٩٥.

(٤) ديوانه، ٤٣؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٩.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٤؛ الدِنيوري. الأخبار، ٣١٩؛ اليعقوبى: تاريخ، ٣م١١؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١١٢.

(٦) ابن أبي ربيعة، عمر بن عبدالله ربيعة المخزومي، شاعر غزلي أموي مشهور. (ت، ٩٣هـ/ ٧١١م). ترجمته:. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥٧؛ الأصفهانى: الأغاني، ١/ ٧١.

(٧) ابن أبي ربيعة، عمر بن عبدالله بن ابي ربيعة المخزومي (ت، ٩٣هـ/ ٧١١م): ديوانه، (دار صادر، بيروت، دون تاريخ)، ٣٣٨٩؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١١٢.

وقال الأحوص[1]، وهو الآخر من شعراء الغزل، وهو الأنصارى منتصرًا لها:

ألم تعجبُ الأقوام من قتلِ حُرَّةٍ ... من الجامعاتِ العقلِ والدينِ والحَسَبِ
منَ العاقلاتِ المؤمناتِ بريَّةً ... من الشَّكِ والبهتانِ والإثمِ والريبِ
كأنهم إذ برزوها فقطَّعت ... بأسيافِهم فازوا بملكةِ العَربِ[2]

وقال سعيد بن حسان بن ثابت (ت، ١١٥هـ/ ٧٤٣م) وهو من شعراء الأنصار محتجًا على قتلها:

أتى راكب بالأمر ذى النبأ العجبِ ... بقتلِ ابنة النعمان ذى الدينِ والحَسبِ[3]

فكان هذا الشعر ردة فعل واضحة ضد قتلِ المرأة، فوثق الحدث واثرَّ فيه تأثيرًا واضحًا. لأن الشعر أصح وسيلة لتدوينه ونقده.

بعد مقتل المختار ضعف أمر الكيسانية التى كان يدعو إليها، والتى كان محمد بن الحنفية يتوجس منها لعدم وثوقه من نوايا المختار الذى رأى فيه أنه المهدى، وأن فى المهدى علامة وهى أن يضربه رجل بالسيف ضربة فلا تضر به فبلغ ذلك ابن الحنفية[4]، فقال نصر بن عاصم الليثى[5]:

فارقتُ نَجدة والذين تزرَّقوا ... وابن الزبيرِ وشيعةَ الكَذَّبِ
والصُّفر الآذانِ الذين تخيَّروا ... دنيا بلا فِقهٍ، ولا بكتابِ[6]

---

(١) الأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصاري (ت، ١١٠هـ/ ٨٢٨م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٤٨؛ الآمدى: المؤتلف، ٥٩.

(٢) الأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصاري (ت، ١١٠هـ/ ٨٢٨م): شعره، تحقيق عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ٢١١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٤.

(٣) سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت النصاري. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ٨/ ٢٦٨.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١١٣.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٦) ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤٧٥؛ ابن حجر: تهذيب: ١٠/ ٣٨١.

وكان ابن الزبير حبس ابن الحنفية فى سجن عارم[1]، فقال كثير[2] مظهرًا عقيدته الكيسانية:

تخبر من لاقيت أنك عائذٌ ... بل العائذُ المظلوم فى سجن عارمِ
ومن يرَ هذا الشيخ بالخيفِ من مِنىً ... مِن الناس يعلَم أنه غيرِ ظالمِ
وصى النبى المصطفى وابن عمّهِ ... وفكّاك أغلالٍ وقاضِى مغارِمِ[3]

وإلى ذلك أشار السيد الحميرى[4] بقوله:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى ... وبنا إليك من الصبابة أولق
حتى متى وإلى متى وكم المدى ... يا ابن الوصى وأنت حى ترزق[5]

وهو يشير إلى اختفاء محمد بن الحنفية فى جبل رضوى[6]، وأن المهدى سيبعث منه.

كان مرجع الأزارقة من فارس إلى العراق سنة (٦٨هـ/ ٦٨٧م)[7] حتى صاروا على قرب الكوفة ودخلوا المدائن. فسرحوا جماعة فقتل أبو بكر بن مخنف[8] (ت، ٦٨هـ/ ٦٨٧م)، فقال سراقة بن مرداس البارقى يذكر مقتله:

---

(١) يعتقد أنَّ موضعه الطائف: ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٦٦ (عارم).
(٢) كثير بن عبدالرحمن الخزاعي، شاعر أموي غزلي (ت، ١٠٥هـ/ ٧٢٣م). رجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٥٣٤؛ المرزباني: معجم الشعراء، ٢٤٢.
(٣) كثير بن عبدالرحمن الخزاعي (ت، ١٠٥هـ/ ٧٣٤م): ديوانه، تحقيق إحسان عباس (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ٢٢٤-٢٢٥؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٧٦.
(٤) إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ (ت، ١٧٣هـ/ ٧٨٩م). ترجمته: ابن المعتز، عبدالله بن المعتز العباسي (ت، ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م): طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، (دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م)، ٣٢؛ الأصفاني: الأغاني، ٧/ ٢٢٤.
(٥) السيد الحميري، إسماعيل بن محمد بن يزيد (ت، ١٧٣هـ/ ٧٨٩م): ديوانه، تحقيق شارك هادي شكر، (دار مكتبة الحياة، مكتبة سميا، بيروت، دون تاريخ)، ٢٩٢. ينظر: ١٣٥ و١٧٣.
(٦) جبل بالمدينة، ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٥١ (رضوى).
(٧) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١١٩. والمدائن عاصمة دولة الفرس الساسانيين.
(٨) نفسه، ٦/ ١٢٢.

ألا يـا لقومـى للهُمـوم الطَّـوارقِ ... وللحَدثِ الجائى بإحدى الصَّفائقِ
ومقـتَلُ غطـريفٍ كـريم نجـارُه ... مـن المُقـدمِينِ الذَّائـدينَ الأصـادِقِ
أتانى دُوين الخَيف قتل ابن مِخنَفٍ ... وقـد غـوَّرت أولى النُّجومِ الخَوافِـقِ
فقُلـت، تَلقَّـاك الإلـهُ بـرحمَةٍ ... وصـلى علـيكَ الله ربُّ المَـشارِقِ[1]

فلما رأى الناس بطء سير الحارث بن أبى ربيعة الملقب بالقُباع والى أبن الزبير على الكوفة رجزوا به فقالوا:

سـار بـنا القُـباع سَـيرًا نُكـرَا ... يَـسيرُ يـومًا ويُقـيم شَـهرا[2]

فلما أتتهم العيون بأنه قد أتاهم جماعة أهل المصر قطعوا الجسر بينهم وبين الناس، وأخذ الناس يرتجزون:

إن القُـباعَ سَـار سَـيرًا مَلَّـسْا ... بـين دَيـيرى ودَبَاهَـا خَمـسَا[3]

حتى إذا بلغ الخوارج أصبهان كان يخرج إليهم رجل يقال له أبو هريرة بن شريح[4]، وكان شجاعًا، فكان يحمل عليهم ويرتجز:

كـيفَ تـرونَ يـا كِـلابَ الـنارِ ... شَـدَّ أبـى هُريـرةَ المَـرَّارِ
يَهِـرُّكم باللـيلِ والـنهارِ ... يـا ابـن أبـى الماحـوز والأشـرارِ
كـيفَ تَـرى جَـى علـى المِضمارِ![5]

وفى سنة (٦٨هـ/ ٦٨٧م)[6] كان مقتل عبيدالله بن الحر الجعفى، فقد نشب الصراع بينه وبين مصعب بن الزبير، وقد أتاه سبعمائة من خلعاء القبائل فى عهد

(١) ديوانه، ٥٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٢.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٣.
(٣) نفسه.
(٤) عند المبرد اسمه: شريح. ينظر: المبرد: الكامل، ٢/ ٢٤٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٥.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٥؛ المبرد: الكامل، ٢/ ٢٤٩ وفيها خلاف عما ذكره الطبري.
(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٨-١٢٩.

معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، كما رفض مبايعة المختار فبعث إليه من يقاتله، فكان يبعث بالنواحى فحبس المختار امرأته، ولكنه استطاع إخراجها من السجن، وكانت له غارات فى أرض السواد كثيرة مع مجموعة من فتاك القبائل وخلعائها[1]، وله فى ذلك أشعار كثيرة، منها قوله:

أنـا الحـرُّ وابـنُ الحـرِّ يحمـل شـكتى ... طِـوال المـرادى مـشرفات الحـوانكِ

فَمَـن يَـكُ أمـسى الزعفـرانُ خُلـوفَهُ ... فـإن خلوفـى مـستثارُ الـسنايكِ

إذا مـا غنمـنا مَغـنمًا كـان قِـسمةً ... ولم نتَّـبع رأى الـشَّحيح المُـتارِكِ[2]

يشير إلى طريقة قسمتهم للمغانم، فهم يتصرفون كما كان يتصرف صعاليك العرب قبل الإسلام، لذا وصفهم بـ ((فتيان الصعاليك))[3]، ويصف المختار بالكذاب ويكثر من الفخر بنفسه[4] فكانت حياته ثورة دائمة وغغارة مستمرة، وطمعًا فى الجاه والسلطان؛.. لذلك بايع المختار فلما خيب أمله وعاداه كما عاده الأمويون انحاز إلى جانب ابن الزبير[5].

وحين قاتل ابن الحر المختار مع مصعب قيل له: إن مصعبًا يعطيك خراجًا بادوريا[6] على أن تبايع وتدخل فى طاعته؛ قال: أو ليس لى خراج بادوريا وغيرها، ولا آمنهم على شىء[7].

ولعل سبب ذلك إحساسه بالذنب لأنه لم ينصر الحسين، كما فى قوله:

أيـرجو ابـن الـزبير الـيوم نـصرى ... لعاقـبةٍ ولم أنـصر حـسينا[8]

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٣-٢٩٨؛ الدينورى: الأخبار، ٢٩٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٩.
(٢) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٣.
(٣) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٢.
(٤) نفسه، ١/ ١٠٢.
(٥) عطوان، حسين: الشعراء الصعاليك في العصر الأموي (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠م)، ١٨٦.
(٦) طوج بالجانب الغربي من بغداد آنذاك. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٣١٧ (بادوريا).
(٧) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٣٢.
(٨) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٧.

مما ولد لديه شعورًا قويًا بسوء النية من المتصارعين على السلطة، فقد وصفهم بالغش وكان حذرًا من قبائل قيس عيلان[1]، فكان بذلك الإحساس لا يجد أمامه سوى طريق واحد هو الحرب والصعلكة، فلم يَهَبْ الموت وآمن بالقدر المحتوم والكتاب المؤجل، فكان إقدامه القوى وإيمانه بتفرده وخصوصية أفكاره دليل تذمر من الخضوع للقوى الطامعة بالسلطان:

تخوفنـــى بالقـــتلِ قومـــى وإنَّمـــا أمـوتُ إذا جـاء الكـتابُ المـؤجلُ[2]

فرفض تهديدات ابن الزبير؛ لذا احتال عليه مصعب وأودعه السجن؛ ولكنه حين خرج منه يعود إلى غاراته فى أرض السواد متمسكًا بوجهة نظره[3]، فكان كما قال عنه ابن هَمّام السلولى:

تـرنمت يـا ابـنَ الحُـرِّ وحـدَك خاليًا بقـول امرئٍ نشوانَ أو قولِ ساقِطِ[4]

وهذا وصف لحالته وطبيعة نظرته للحياة مع أنه كان يرثيه؛ ولكن فروسية ابن الحر لا شائبة عليها، اصطدمت بفروسية مصعب فظل يتعقبه حتى شعر ابن الحر بقلة حيلته، فبايع عبدالملك مراوغة لمصعب واجتمع إليه بشر من أهل الموصل، فبدأ يضايقه، ولكن عبدالملك كان يتوجس منه فتركه وحده، كما ساءت صلته بقبائل قيس عيلان لأنه هجاها. فكان يعبر عن ذلك بقوله:

يـــا لـــكَ يـــومٌ فـــاتَ فـــيه نهـــى وغـــابَ عَنِّـــى ثقتـــى وصـــحبى[5]

وكذلك كان يقول:

---

(١) نفسه، ١/ ٩٥، ١١٢.

(٢) شعره، ١/ ١١٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٣٣.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٥/ ٢٩٥-٢٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٣٢-١٣٨.
ينظره: شعره، شعراء أمويون، ١/ ٩٥ و٩٨ و١٠٧ و١١٦ و١٣٥.

(٤) السلولى: ما تبقى من شعره، ١٩٣.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٦-٢٩٧: الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٣٧.

لــو أن لى مــن شِــيعتى رِجــالا مــساعِرًا أعــرفهم أبطــالا
لأحــسنوا مــن دونــى القِــتالاً ولَـم يهابـوا فـى اوَغـى الآجـالا[1]

فتألبت عليه قبائل قيس فجلعوا يرمونه ويقولون: أمغازلًا تجاهدا؟! حتى قتلوه[2]. إشارة على قوله عنهم:

ألم تـرَ قَيـسًا قَـيس عِـيلان بـرقعَت لِحاهـا وباعَـت نَـبلَها بالمغـازلِ[3]

يعد شعر ابن الحر صورة حية، ووثيقة بالغة الوضوح فى عرض حالة التمزُّق التى انتابت جسد الدولة العربية الإسلامية، فكان أثره فى تدوين الأحداث مهمًا لأنه يكشف الكثير عن جوانبها الخفية، وجوانب التفرد فى النفس البشرية، بما يعبر عن صراعات القوى والحوادث واختلاف المصالح، ويشير إلى أن الخليفة الأموى كان ينتظر انجلاء الموقف وتخلخل قوة ابن الزبير والخارجين عنه؛ لذا كان شعر هذه المعارك الصغيرة وسيلة إعلامية فعالة.

خرج عبدالملك إلى عين الوردة، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بـ (الأشدق) على دمشق فتحصن بها، فبلغ ذلك عبدالملك فرجع على دمشق فحاصره فى سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨م)[4] وكان عمرو يطمع بالخلافة لو عد سابق فيقول:

يـريد ابـن مـروان أمـورًا أظـنُّها ستحمله منى على مركبٍ صَعبِ
وإن يـنفذِ الأمـرَ الـذى كـان بينَـنَا نحلُّ جميعًا فـى السهولةِ والرَّحبِ
وإن تعطِهـا عبدالعزيـز ظَلامـة فـأولى بهـا منا ومنكم بنو حَربِ[5]

---

(١) ابن أعثم الفتوح ٦/ ٢٣٣-٢٣٤. واستدركه القيسي، نوري حمودي وهلال ناجى: المستدرك على صُنَّاع الدواوين، الجزء الأول (عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ٣١١.

(٢) ابن حبيب: أسماء المغتالي، ٢/ ٢٦٨؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٧.

(٣) شعره، شعراء أمويو، ١/ ١٢٢؛ ينظر: رد زفر عليه في مجموع شعره، ١٦٨.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٤٠. وعند ابن خياط سنة سبعين.

(٥) المرزبانى: معجم الشعراء، ٥١.

وحين ظفر به عبدالعزيز بن مروان أنبه عبدالملك قائلًا: ((ما منعك من أن تقتله))[1]، فأُدخل على عبدالملك، وقد استعد للغدر به[2]، فلم يدع مكانًا للطامعين بالخلافة من البيت الأموى فى هذا الظرف[3] الدقيق؛ لذا قال أحد أصحابه:

غـدرتم بعمـرو يـال مـروانَ ضِـلَّةً ... ومثلكُم يَبنى البيوتَ على الغَدرِ[4]

وقال عبد الملك حين قتله:

يا عَمرو إن لا تَدع شَتِمى ومَنقصَتِى ... أضرِبك حيثُ تقولُ الهامَةُ اسقونى[5]

وعندما فرغ منه تمثل فقال:

أدنيـتُهُ منـى لأمِـنَ مَكْـرَهُ ... فأصـولَ صـولَة حـازِمٍ مُـستمكنِ

غَـضَبًا ومحمـيه لدينـى إنّـه ... لـيسَ المُـسِيءُ سـبيلُه كالمُحـسِنِ[6]

وكان عبيدالله بن أبى رافع شامتًا، لأنَّ الأشدقَ ضربه السياط، فقال:

صَحت ولا شلّت وضرَّتَ عُـدوّها ... يمـين هـراقت مهجـة ابـن سـعيدِ

وَجَـدتُ ابـن مـروان الرشـيد فعالِـهُ ... أبـيًا حديـدَ العـزمِ غـيرَ بلـيدِ[7]

وقال يحيى بن الحكم، ويقال بشر بن مروان، والأول أقرب:

أعينـى جـودا بالدَّمـوعِ علـى عَمـروٍ ... عـشية شَـدَدنا الخلافـة بالغـدرِ

كـأن بنـى مـروان إذ يقـتلونه ... بغاثٌ من الطيرِ اجتمعنَ على صَقرِ[8]

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٤٤.

(٢) الدينورى: الأخبار، ٢٨٦.

(٣) دكسن: الخلافة الأموية، ٢٠٤.

(٤) الدينورى: الأخبار، ٢٨٧. ينظر: تمام الأبيات.

(٥) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٢٠٤/ ١٤٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٤٥.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦٣؛ البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٤٨؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٠٣؛ ابن كثير: البداية، ٦/ ٣١٠.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٤٩.

(٨) نفسه، ٢-٤/ ١٤٤.

وقال يحيى بن سعيد اخو عمرو:

غـدرتم بعمـرٍو يـا بنـى خـيط باطـلٍ ومثلكم يبنى البيوتَ على الغدرِ[1]

خلال هذه المرحلة، وبالذات منذ سنة (٧٠هـ/ ٦٨٩م)[2] بدأت الصراعات القبلية فى بلاد الشام والجزيرة بين قيس وكلب أولًا ثم بين قيس وتغلب؛ لأن معظم العرب المستقرين فى بلاد الشام كانوا من أهل اليمن مما ساعد على استمرار نفوذهم[3]. وكانت قيس زبيرية وكلب مروانية[4] حيث استعر الصراع مجددًا بسبب ما لقيته قيس فى مرج راهط. ففى ذلك يقول زفر ابن الحارث الكلابى زعيم قيس:

يـا كَلـبُ قـد كَلِـبَ الـزمانُ علـيكم وأصـابكُم منـى عـذابُ تنـزُّلِ

إن الـسَّماوَة لا سمـاوةَ فالحقـوا بمـنابتِ الـزيتون وابنـى بجـدلِ[5]

فأجابه جواس بن القعطل:

دُسـنا ولم نَفـشَل هـوازنَ دوسـةً تـركَت هـوازنَ كالفَـريدِ الأعـزلِ

مـن بعـدِ مـا دُسـنا تـرائِقُ هامِهـا بالمـشرَفيّةِ والوشـيج الـذُّبَّلِ[6]

كان عمير بن الحُباب السُلمي[7] (ت، ٧٠هـ/ ٧٩٠م) يغير مع زفر ببنى تغلب؛ وذلك بعد انصراف عمير من جيش عبيدالله بن زياد حين قتل وقبل وقوع الحرب بين قيس وتغلب. فلما رأت كلب المدر ما لقيته كلب البوادى من زفر بن الحارث

---

(١) البلاذري أنساب، ٢-٤/ ١٤٤.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٨؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٤٢، ٢٣/ ٢٠٦؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣٠٦.

(٣) دكسن: الخلافة الأموية، ١٣٩-١٤٠.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٨.

(٥) زفر، شعره، ١٦٩؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٨.

(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٨.

(٧) شاعر أموي وزعيم قبلي من قبائل قيس. ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ٢٤٥؛ ابن حزم: جمهرة، ٢٦٤.

وعمير بن الحباب أمرَّوا عليهم حُميد ابن حريث بن بحدل الكلبي[1] فحصل الصدام بين كلب وقيس[2]. فقال بعض جهينة:

ألا هل أتى الأنصار إن ابن بحدَلٍ حُميدًا شفا كَلبًا فقرَّت عيونُها

وأنزل قيسًا بالهوانِ ولم تكُن لتقلِعَ إلا عند أمرٍ يهينُها[3]

فعادت كلب تذّكر عبدالملك بلاءها فى مرج راهط؛ لأن هذه الواقعة كانت بسبب ثارات القبائل فيها[4]. وقد تفاقم هذا الصراع أيضًا نتيجة انحياز رجالات الأمويين إلى أخوالهم، فقد كان خالد ابن يزيد يتعصب لأخواله بنى كلب ويعينهم على قيس فقال شاعر قيس:

أأنت تأمرُ كلبًا أن يقتلنا جَهلًا وتمنعُهُم مِنَّا إذا قُتلوا[5]

حتى أن بشرَ بن مروان قال لقبائل قيس: أتقتلون أنفسكم مع رجل ليس منكم، إنما هو من كندة، فبلغ ذلك زفر بن الحارث[6]، فقال:

أتجعل أجلافًا عليها عَباؤها كَكِندَة تمشى فى المطارِفِ والعصبِ[7]

ويذكر عمرو بن مخلاة الكلبى صراع قيس مع كلب فى وقعة مرج راهط، وبلاء كلب من أجل مروان بن الحكم وابنه عبدالملك فيقول:

فكم من أميرٍ قبل مروانَ وابنه كشفنا غطاء الكَرب عنه فأبصرا

---

(١) شاعر من كلب، ينظر: البغدادى: خزانة، ٥/ ٢٤٣.

(٢) البلاذري، أنساب، ح ٥/ ٣١٠-٣١١.

(٣) أبو تمام: ديوان الحماسة، ١٤٩؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٤٥، ٢٣/ ١٨٩؛ التبريزى: شرح، ٢/ ٤١.

(٤) ينظر ما قاله جواس بن القعطل وبشر بن صفوان من كلب: أبو تمام: ديوان الحماسة، ٤٧٩؛ البحترى: عبادة بن الوليد (ت، ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): الحماسة، تحقيق لويس شيخو اليسوعي (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ٨٠.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ٦٨؛ التبريزى: شرح، ٢/ ٤.

(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٣.

(٧) شعره، ١٦٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٣.

ومستسلمَ نُفسنَ عنهُ وقد بَدت نواجذُه حتى أهلَّ وكبَّرا

إذا افتخر القيسى فاذكر بلاءَه بزرّاعةِ الضَّحاك شرقى حوبرا[1]

كان هذا الصراع نتيجة غياب السلطة القوية على التأثير السريع لاحتواء النزاعات الجانبية والمنافسات القبلية.

وعرض عويف القوافى[2] من قيس بحُميد بن بحدل فقال:

مَنَا الله أن القى حثميدَ بن بحدلٍ بمنزلةٍ فيها على النصفِ مُعلمَا[3]

كما قال فى غارة قومه على بنى فزارة مِن بنى عبد ود، وبنى عليم من كلب[4]:

فسائل جَحجبى وبنى عَدِى وتيمَ اللاتِ من عَقدَ الخِزاما[5]

كما قال حَلحَلة بن قيس الفزارى[6]:

ومن عبد وُدّ قد أبرّت قبائِلاً فغادرتُهم كُلّا يُطيف بهِ كُلُّ[7]

وقال على بن الغدير الغنوى[8] فى قتل حَلحَلة:

وحلحلة القتيل مع ابن بدر وأهل دمشق أنجية عزين[9]

---

(١) أبو تمام: ديوان الحماسة، ٤٧٨؛ التبريزى: شرح، ٤/ ٣٢-٣٣. وينظر ما قاله عمر بن مخلاة عن بني ذبيان: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٠؛ الأصفهانى: الأغانى: ١٩/ ١٤٨.

(٢) عويف بن معاوية بن ذبيان (ت، نحو ١٠٠هـ/ ٧١٨م)، شاعر فحل. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٢٨؛ المرزبانى: معجم الشعراء، ١٢٧.

(٣) شعره، شعراء أمويون، ٣/ ١٥٢؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٠٨؛ الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٩٣.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٠.

(٥) عويف القوافي، شعراء أمويون، ٣/ ١٥٣. ينظر مدحه لعبدالملك: ٣/ ١٤٣-١٤٤.

(٦) حلحلة بن قيس بن الشيم بن سيار الفزاري. ينظر: البلاذري، أنساب، ٥/ ٣١٠.

(٧) نفسه، ٥/ ٣١١.

(٨) ترجمته: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٢؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٥١.

(٩) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢١٣؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٩/ ١٥١. ينظر أيضًا: رثاء أرطاة بن سهية المري في شعره، ١٨٣.

يشكل شعر هذه الصراعات القبلية وثائق لها أثرها فى تدوين تلك الأحداث ودراستها.

فلما انقضى أمر مرج راهط وصار زفر بن الحارث إلى قرقيسياء ومعه عمير بن الحباب السُلمى، جعلا يطلبان كلبًا واليمانية بقتلى المرج ومعها قوم من بنى تغلب، وكان عُمير يغير بالقيسية على كلب واليمانية، وكان من معه من القيسية يسيئون جوار بنى تغلب ويسخرون من مشايخهم النصارى فأهاج ذلك بينهم شَرًا لم يبلغ الحرب، وكانت قيسٌ زبيريةً وكلبٌ أمويّة فتطور بينهما فيما بعد صراع محتدم فى وقائع من سنة (٧٠هـ/ ٧٩٠م)[١] قيلت فيها أشعار كثيرة، وفى ذلك قال عمرو[٢] بن الأيهم التغلبى:

ألم تـــرَ أن تَغلِـــبَ أهـــلَ عِـــزٍّ، جـــبال معاقِـــل مـــا يـــرتقينا؟
شَـــربنا مـــن دمـــاءِ بنـــى سُـــليمٍ بأطـــرافِ القَـــنا، حتـــى رويـــنا[٣]

وقال زفر بن الحارث الكلابى من قيس يرد على تغلب:

ولمـــا لقيـــنا عُـــصبةً تغلبـــية يقـــودون جُـــردًا للمنـــيةِ ضُـــمَّرا
ســـقيناهُم كاسًـــا ســـقونا بمـــثلِها ولكنهم كانوا على الموتِ أصبرا[٤]

وقال القطامى[٥] (ت، ١٠١هـ/ ٧١٩م) يشير إلى هذه الصراعات:

قـادَ الخيولَ ابـن ليلـى وهـى سـاهِمةٌ حتـى اغـرنَ مـع الظَلمـاءِ إذ ظُلمـا

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٣-٣١٤؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣٠٦ وما بعده.
(٢) وقيل هو عمرو بن الأهتم. ترجمته: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٥؛ المرزبانى: الموشح، ٧.
(٣) المرزبانى: الموشح، ٧. ابن منظور: لسان، ٢/ ٣١٦ (سند). وللشاعر وهو يشير إلى شعيث بن مليل وقد رد على نفيع بن صفار المحاربى: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٥ وله مساجلات أخرى: الجاحظ: الحيوان، ١/ ٢٢٤؛ الأصفهانى: الأغانى، ٢٣/ ٢٠٢-٢٠٣.
(٤) زفر: شعره، ١٦٤. ينظر أيضًا تعريضه بابن بَحدل حين رمى قرقيسياء بالمنجنيق: ١٦٣.
(٥) هو عمير بن شييم التغلبي لقب بذلك لبيت قاله كان نصرانيًا فأسلم.
ترجمته: ابن سلام، طبقات، ٢/ ٥٣٤؛ ابن قتيبة: الشعراء، ٢٠/ ٦٠٩؛ الآمدى: المؤتلف، ٥٥١.

أولى آل سُـــليم أو أبـــى عُمَـــرٍ من ضَربةٍ تُورِث الأضعانَ والغَمما[1]

وقد ذمَّ زفر عمير بن الحباب السُلمى لأنه ترك كَلبًا وأغار على قبائلِ نزار حين حصل القتال بين تغلب وقيس:

ألا مـــن مـــبلغ عنـــى عُمـــيرًا مقالـــةَ عاتِـــبٍ وعلـــيك زاري
أتـــركُ حَـــى ذى طَلَـــعٍ وكَلـــبٍ وتكـــسِرُ حـــدَّ نابـــك فـــى نـــزارِ
كمجتـــنح علـــى إحـــدى يديـــهِ خانـــــتُه بـــــوهنٍ وانكـــــسارِ
بـــتغلُبَ تبتغـــى الأريـــاحَ جَهـــلا وقـــبلَك أفـــسدوا ريـــحَ الـــتجارِ[2]

فى هذه الوقائع أخبار متداخلة ومختلفة الروايات كان الشعر على صحة الخبر أدل[3] وأوضح، لأنه أسهم فى كشف الصراعات وتفصيلها، وهو شعر كثير منتشر فى كتب التاريخ ودواوين الشعراء.

فى يوم ماكسين[4] سنة (٧٠هـ/ ٧٩٠م)[5] استحكم الشر بين قيس وتغلب وعلى قيس عُمير ابن الحباب السُلمى وعلى تَغلب شعيث بن مليل[6] فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فقال نُفيع بن صفار المحاربى:

تـــركنا الباكـــياتِ علـــى شُـــعيثٍ سَـــواجِمَ عَبَـــرةً مـــا ينقَـــضينا[7]

فأشار إلى مقتل شُعيث فى هذا اليوم، وكان زفر بن الحارث، قال حين أغارت تغلب على بنى الحَريش ومن معهم من قُشير: شغلت قيس بغزلِ نسائِها عن هؤلاء النصارى. فقال عمير بن الحباب موثقًا ذلك:

---

(١) القطامي، عمير بن شييم (ت، ١٠١هـ/ ٧١٩م): ديوانه، تحقيق د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م)، ١٢٠.

(٢) زفر: شعره، ١٦٥. قيل هذا الشعر في يوم الثرثار الثاني.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٦.

(٤) بلد الخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٤٣ (ماكسين).

(٥) ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٠.

(٦) ينظر حوله: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٥-٣١٧.

(٧) نفسه، ٥/ ٣١٧.

مـا همَّـنا يـومَ شُـعيث بالغَـزَلْ يـوم انتـضيناهُنّ أمـثالَ الـشُّعَلْ[1]

وقال الراعى النميرى[2] (ت، نحو ٩٧هـ/ ٧١٥م):

أبـا مالـكٍ لا تـنطق الـشعر بعـدها وأعـطِ القيـادَ القائـدين علـى كَـسرِ
نحـن تـركنا تغلـبَ ابـنة وائِـلٍ كمكَـشرِ الأنـيابِ مُـنقطعِ الظَهـرِ[3]

واقتتلت قيس وتغلب فى يوم الثرثار[4]، فانهزمت قيس، فقالت ليلى بنت الحمارس التغلبية:

خَلـوًّا لـنا الثـرثارَ والمـزارِعا وحِـنطةً طَيـسًا وكَـرمًا يانِعَـا[5]

ثم التقوا فى الثرثار ثانيةً فأهزمت تَغلب فقال عُمير بن الحُباب:

فِـدًى لفـوارسِ الثـرثارِ نفـسى ومـا جَمَّعـتُ مِـن أهـلٍ ومـالِ
ووَلَّـت عامِـرٌ عـنا فأجلَـت وحَـولى مـن ربـيعةَ كالجِـبالِ
أكـاوِحُهُم بِـدَهمٍ مـن سُـليمٍ وأُعثِـرُ كالمـصاعيبِ الـنهالِ[6]

ووثق ذلك الأخطل فقال:

وأمـا عُمـيرُ بـن الحُـباب فَلَـم يَكُـنْ له النصف فى يوم الهياج، ولا العُشرِ
فـإن تذكـروها فـى معـدٍّ فإنَّمـا أصـابَك بالثـرثارِ راغـيةُ البكـرِ[7]

---

(١) نفسه.

(٢) عبيد بن حصين النميري، سمي بذلك لكثرة وصفه الإبل. شاعر مشهور. ترجمته: ابن سلام، طبقات، ١/ ٧٩٩؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٩٥.

(٣) الراعي النميري، عبيد بن حسين (ت، نحو ٩٧هـ/ ٧١٥م): شعره، تحقيق نوري القيسي وهلال ناجي (مطبعة مجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ١٧٧-١٧٨.

(٤) واد عظيم بالجزيرة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٧٥ (الثرثار).

(٥) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٧؛ ابن الأثير: الكامل، ٤٥/ ٣١٢.

(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٠. ينظر في هذا المكان ما قاله زفر بن الحارث.

(٧) ديوانه، ٢/ ٤٥٧.

وأغارَ عُمير على الفُدين[1] فاكتسح ما فيها وقتل عامة أهلها، ويقال: قاتل فيها جميع بنى تغلب فهزمهم[2]؛ فقال ابن الصفار موثقًا الحدث والمكان والقبائل:

لـو تـسأل الأرضَ الفـضاءُ بأمـرِكُم ... شَـهِدَ الفُـدينُ بهلكِكُـم والـصُوَّرُ

كذبـتكَ شَـيبانُ الأخـوَّةَ وانفقَـتْ ... أسـيافكُم يكُـم سُـدُوس ويـشكُرُ[3]

ثم لقى عمير بن الحُباب بنى تغلب والنَمِر وعليهم يزيد بن هوبر التغلبي[4] بالسُكَير[5]، فاقتتلوا قتالًا انهزمت به تغلب والنَمِر وهرب عُمير بن جندل[6]، فقال عُمير بن الحُباب:

وأفلتـنا يَـوم الـسُكير ابـن جَـندَلٍ ... علـى سـابِحٍ غَـوجِ اللـبانِ مُثايِـرِ[7]

وقال ابن صفار:

صـبحناكم بهـنَّ علـى سُـكَيرٍ ... فلاقيـتم هُـناك الأقوريـنا[8]

والتقت تغلب وقيس فى المعارك[9]، فانهزمت تغلب فقال ابن الصفار:

ولقـد تـركنا بالمعـارِكِ مـنكُمُ ... والحَـضرِ والثَـرثارِ أجـسادًا جُـثا[10]

ثم التقوا بالشَّرعبيَّةِ[11]، فقال الأخطل يهجو ابن الصفار:

---

(١) تصغير الفَدن، قرية على شاطئ الخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٤٠ (الفُدين).

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٤) ينظر نسبه: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣١٨؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٥) هي سُكير العباس بالتصغير، بليدة صغيرة بالخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٣١ (سُكير العباس).

(٦) من فرسان تغلب. البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢١.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٨) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٩) نفسه، ٥/ ٣٢١-٣٢٢.

(١٠) موضع بالجزيرة كما في ياقوت، معطم البلدان، ٣/ ٣٣٦ (الشرَّعبية).

(١١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٤.

تظـــل سِـــباعُ الـــشَّرعبيَّةِ حـــولَهُ رُبُوضًا، وما كانوا أجُنُوه فى قَبرِ[1]

وقال جرير[2] (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨/) يهجو الأخطل:

ألم تَـر قَيسًا قـيسَ عـيلانَ دمـروا خنازيـر بـين الـشَّرعبية والـدَّربِ[3]

كما التقوا فى البَليخ[4] فانهزمت تغلب، فقال ابن الصفار:

زُرقِ الـرِّماحِ ووقـعِ كُـلَّ مهـنَّدِ زلـزلتَ قلـبكَ بالبَلـيخ فـزَالا[5]

وقال بعضهم:

تَـسامَت جُمـوعُ بنـى تَغلِـب اليـنا فكُـنَّا علـيهم وبَـالا

بَقَـرنا النِّـساء غـداةَ البَلـيخِ إذا جئنَـنَا وقتلـنا الـرِّجالا[6]

ووثقت هذه الأيام عودة القبائل إلى الصرع، وهى أحداث أسهم الشعر القبلى فى توثيقها، ومعظمها حصل فى سنة (٧٠هـ/ ٧٩٠م). فكانت أحد أسباب تريث عبدالملك بن مروان فى القضاء على ابن الزبير لقربها منه ولاشتراك بعض القبائل الموالية لابن الزبير فى حرب القبائل الموالية للأمويين، وفى هذا استنزاف لطاقات الطرفين القتالية؛ فضلًا عن كون بعض هذه الأيام جاءت ردَّ فعل على نتائج معركة مرج راهط، فكان لزفر بن الحارث غارات أخرى على كلب وتغلب حتى قالت امرأة من بنى كلب ترثى قتلى قبيلتها:

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٤.

(٢) جرير بن عطية الخطفي من كليب بن يربوع من تميم، شاعر فحل من العصر الأموي. ترجمته، ابن سلام، طبقات، ١/ ٩٢٧؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٧٤.

(٣) جرير بن عطية الخطفي (ت، ١١٥هـ/ ٧٣٣م): ديوانه، تحقيق نعمان طه، الجزء الثاني (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١م)، ٦٢٢.

(٤) اسم نهر بالرقة. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٩٣ (البَليخ).

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٢-٣٢٣؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٥.

(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٢.

أبعدَ من دُلّيتِ من كوكبٍ ... يا نفسُ ترجين ثواءَ الرِّجال؟[1]

فلما أغار عُمير بن الحُباب السُلمى على كَلب وأتبع حُميد بن حريث بن بحدل كان يقول لفرسه:

أقدمْ صُدامُ إنه ابنُ بجدلْ ... لا تُدرك الخيلَ وأنت تَدألْ
ألا تمرَّ مِثل مَرِّ الأجَدلْ[2]

وحين التقت قيس مع كلب فى وقعة الغُوير[3]، قال عُمير بن الحُباب:

تُساءَل من حَيّى رفيدة بعدما ... قَضت وطرًا من عَبدِ ودٍّ وعامِرِ[4]

وأشار شبل بن الخيتار إلى يوم الإكليل[5]، بعد أن ولى حُميد بن حُريث بن بحدل، فقال:

يخرجن من برضِ الإكليل طالعةً ... كأنهنَ جرادُ الحرَّةِ الزُّورِ[6]

وكان عُمير بن الحُباب أغار على كلب فلقى جمعًا لهم بالأكليل فقتل منهم فأكثر، فقالت هند الجلاحية[7] تحرض كلبًا:

ألا هل ثائرٌ بدماءِ قومٍ ... أصابُهُم عُمير بن الحُباب؟
وهل فى عامِرٍ يومًا نكيرٌ ... وحيَّى عبدِ ودٍّ أو جَنَابِ؟
فإن لم يثأروا من قدم أصابوا فكانوا ... أعبُدًا لبنى كِلابِ
أبعدَ بنى الجُلاح ومن تركتم ... بجانبِ كوكبٍ تحتَ التُرابِ[8]

---

(١) الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٨٤.
(٢) نفسه، ٢٣/ ١٨٤-١٨٥ وصُام اسم فرسه.
(٣) ماء لكلب بأرض السماوة. ياقوت: معجم البلدان: معجم البلدان، ٤/ ٢٢٠ (الغوير).
(٤) الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٨٦. ينظر إشارته إلى الغوير، ٢٣/ ١٩٣.
(٥) اسم موضع ذكره عدي بن نوفل. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٢٤٠ (الإكليل).
(٦) الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٨٦.
(٧) ينظر: الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٨٧.
(٨) نفسه.

فرد عليها عُمير بن الحُباب قائلًا:

ألا يـا هـندُ هـندُ بنـى جُـلاحٍ سُـقيتِ الغيثَ مـن قُلـلِ السَّحابِ
ألّمـا تُخـبرى عـنّا بأنّـا نَـردُّ الكبشَ أعضَب فـى تَـبابِ[1]

ثم استمرت الحرب سجالًا بين الطرفين كما وثق ذلك الشعر الذى اختص بوقائع القبائل[2].

لما رأت تغلب إلحاح عمير عليها جمعت حاضرتها وباديتها وساروا على الحشّاك[3]؛ وذلك فى سنة (٧٠هـ/ ٧٩٠م)[4]، فدلف إليهم عُمير فى قيس ومعه زُفر بن الحارث وابنه الهُذيل، وعلى تغلب يزيد بن هوبر فاقتتلوا عند تل الحشَّاك أشد قتال وأبرحه، فنزل عمير يقاتل راجلًا وهو يقول:

أنـا عُمـير وأبـو المَغلّـسْ قد أحمِسُ القومَ بضَنكِ المَحمِسْ[5]

وشدَّ على عُمير جَميل بن قيس الزهيرى فقتله، فقال الشاعر يشير إلى مقتله على يدِ ابن هوبر:

أرَقـت بأثـناءِ الفُـرات وشـفّنى نـوائِحُ أبكاهـا قَتـيل ابـن هوبَـر
ولم تظلمـى إن نُحـتِ أمَّ مغلّـسٍ قتيلَ النصارى فـى نـوائِحُ حُسَّرِ[6]

فقال بعض الشعراء ينكر قتل ابن هوبر عُميرًا:

وإن عُمـيرًا يـومَ لاقـته تَغلِـبُ قَتيلُ جَميلٍ لا قتيلَ ابنِ هوبَرِ[7]

---

(١) نفسه وينظر تمام القصيدة، ٢٣/ ١٨٨.
(٢) ينظر: ما قاله عمرو بن مخلاة ومنذر بن حسان والمجير بن اسلم وزُفر بن الحارث وعُمير بن الحُباب وجَهم القشيري ونُفيع بن الصفار والراعي النميري وعقيل بن عُلفة: البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٨؛ الأصفهانى: الأغاني، ٢٣/ ١٨٩-١٩٨.
(٣) واد بأرض الجزيرة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٦٢ (الحشَّاك).
(٤) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٥.
(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٣.
(٦) جميل بن قيس من بني كعب بن زهير. نفسه، ٥/ ٣٢٤.
(٧) نفسه.

وهذا يؤكد اثر الشعر فى تدوين الحدث فهذا البيت يصحح مقتلَ عُمير على يدِ جَميل الزهيرى. وقال الأخطل مشيرًا إلى مقتل ابن الحباب فى الحشَّاك:

فلاقى عُمير حتفَه، فى رماحنا وما أنتَ، يا جحاف، عنها بهاربِ[1]

لما قتل عُمير بن الحُباب حاولت قَيس الأخذ بثأرهِ من تغلب وحين أحست تغلب ذلك ارتحلت تريد عبورَ نهر دجلة، فلما صارت بالكُحيل[2]، لحقهم زُفر بن الحارث فى القيسية فاقتتلوا قتلاً شديدًا، واسر منهم مائتين فقتلهم صبرًا[3]. فقال زُفر:

ألا يا عُينُ جودى بانسكابِ ويكَى عاصما وابن الحُبابِ
فإن تكُ تغلب قَتلت عُميرًا ورهطًا من غَنًى فى الحرابِ
قتلنا منهم مائتين صَبرًا وما عدلوا عُمير بن الحُبابِ[4]

وأسرَ زُفر بن الحارث شاعِرَ تغلب القطامى فقام بأمره حتى رد عليه ماله وجميع ما أخذ منه ووصله[5]. فقال القطامى فيه شعرًا كثيرًا منه قوله:

وعارضى الليل إذا ما اخضرَّ أخبَرك البارحُ حين مُرَّا
إذا سوفَ تَلقينَ جَوادًا حُرًّا ذسَيِّد قَيس زُفر الأَغرَّا[6]

فلما وفد الأخطل على عبدالملك بن مروان فدخل عليه الجحاف بن حكيم

---

(١) شعره، ٢/ ٢٩٠. ينظر حول عمير بن الحباب: ١/ ٦٦-٦٩، ٨٠-٨١، ٢/ ٤٢٣-٤٢١٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٥-٣٢٦؛ ينظر: ما قاله زيد بن بشر التغلبى: الجاحظ: الحيوان، ٦/ ٣٣١.

(٢) تصغير الكحل، موضع بالجزيرة، ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٣٩ (الكُحيل).

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٨.

(٤) شعره، ١٦١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٨؛ الأصفهانى: الأغانى: ٢٣/ ٢٠٤.

(٦) ديوانه، ١٢٠. ينظر أيضًا، ١١٦، ١٢١، ١٣١، ١٥٠، ١٥١.

السُلمي[1] (ت، ٩٠هـ/ ٧٠٩م)؛ فقال له عبدالملك: أتعرف هذا يا أخطل؟ قال: نعم هذا الذى أقول فيه:

ألا سائل الجَحّاف هل هو ثائِرٌ بقتلى أُصيبَت من سُلَيمٍ وعامِرِ[2]

وأنشد القصيدة حتى فرغَ منها فتغالظا فى الكلام فنهض الجحاف فافتعل عهدًا على صدقات بكر وتغلب بالجزيرة، فشد على بنى تغلب بالبشر[3] ليلًا فقتل منهم مقتلة كثيرة[4]. فقال الأخطل:

لقد أوقعَ الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى، والمُعوَّل[5]

فردَّ عليه جَرير قائلًا:

فإنك والجحّاف يوم تحضُه أردت بذاكَ لنكثُ والودُّ أعجلُ[6]

ويقال أن تغلب أحرقت قتلاها حتى لا يتبين الناس كثرتها[7]، فقال ابن الصفار:

لقد رفعت نار الشَمرذَى لقومِهِ شَنارًا وخزيًا وطار كُل مَطارِ[8]

وقال الجحاف مشيرًا إلى عُمير بن الحُباب:

نَعم سوف نبكيهم بكل مُهّندٍ ونَنَعى عُميرًا بالرماحِ الشَّواجرِ[9]

---

(١) ينظر نسبه: الأصفهانى: الأغاني، ١٢/ ١٩٥؛ ابن حزم: جمهرة، ٢٦٤.

(٢) الأخطل، شعره، ٢/ ٥٢٨.

(٣) بالكسر، اسم جبل يمتد من عُرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة الباية. ياقوت: معجم البلدان، ١٠/ ٤٢٦ (البِشر).

(٤) ينظر: الأخطل: شعره، ٢/ ٥٢٨. والخبر مذكور عند: أبو عبيدة: النقائض، ١/ ٤٠١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٨-٢٣٩. ينظر أيضًا: الأصفهانى: الأغاني، ١٢/ ١٩٧-١٩٩؛ المرزبانى: الموشح، ٢١٨-٢١٩؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٩-٣٢٠.

(٥) شعره، ١/ ٣٢؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣١.

(٦) جرير: ديوانه، ١/ ١٤١.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٩.

(٨) نفسه، ٥/ ٣٣٠.

(٩) المرزبانى: الموشح، ٢١٩.

وقال يخاطب الأخطل بأبى مالك:

أبـا مالـك هـل لمتنـى إذ حضـضتنى على القَتلِ أم هل لامنى لك لائمِى[1]

كما أشار جرير إلى يوم البِشر فى خطابه لأبى مالك:

أبـا مالـكٍ: مالَـت برأسـك نـشوة وبالبِـشر قتلـى لم تَطهـر ثـيابُها[2]

ويبدو أن ثمةَ هدفًا خفيًا كامنًا وراء تحريض عبدالملك للصراع بين تغلب وقيس مما أدى إلى إراقة الكثير من الدماء؛ ولعله يبغى من ذلك إبعاد القبائل عن دائرة الصراع السياسى وإدخالها فى دائرة الصراع القبلى لإضعافها وسهولة السيطرة عليها.

وفى سنة (٧١هـ/ ٦٩٠م)[3] كان مسير عبدالملك بن مروان على العراق لحرب مصعب ابن الزبير حتى يبلغ مصعبَ باجُميرى[4]، فقال الشاعر:

أبـيتَ يـا مـصعب إلا سَـيرا فـى كُـلِّ يـومٍ لـك بـاجُميرا[5]

وكان مصعب لما سار إلى الكوفة أخذ معه مالِكَ بن مسمع وزياد بن عَمرو[6] فاستأذناه فى الرجوع فأذن لهما. وقال: إنهما لا يريدان خيرًا[7]، فقال الشاعر:

إلحـق أمـيةَ بالحجـازِ خالـدًا واضرب عـلاوة مالـك يـا مـصعبُ

فلـئن فعلـت لتحـرمنَّ بقـتلهِ وليـصون لـك بالعـراقِ المَـشربِ[8]

---

(١) الأصفهانى: الأغاني، ١٢/ ١٩٩.

(٢) ديوانه، ٢/ ٢٦٤. ينظر القصائد الأُخرى في الديوان، ٢/ ٢٧٤-٢٧٥، ١/ ٥٦-٥٧.

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦٤-٢٦٥ وفيه مقتله سنة (٧٠هـ/ ٦٨٩م)؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥١ وفيه مقتل مصعب سنة (٧١هـ/ ٦٩٠م).

(٤) موضع دون تكريت. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٣١٤ (باجُميري).

(٥) المسعودى: مروج، ٣/ ١٠٥.

(٦) زياد بن عمرو بن الأشرف من الأزد. ينظر: ابن حزم، جمهرة، ٣٧٠.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٨٢.

(٨) نفسه.

وقال آخر:

أخـــاف علـــيك زيـــادَ العِـــراقِ وأخـــشى علـــيكَ بنـــى مـــسمعِ[1]

وحين تأخر لقاء جيش الزبيريين بالأمويين لحلول الشتاء[2]، قال عَدى بن الرِّقاع العاملين[3] (ت، ٩٥هـ/ ٧١٤م):

لعَمـــرى لقـــد أصـــحرَت خيلُـــنا بأكـــنافِ دجلَـــةَ للمُـــصعبِ

إذا شـــئتَ نازلـــتَ مـــستقدمًا إلى المـــوتِ كالجمـــلِ الأجـــربِ

فمَـــن يـــكُ مـــنا يكـــون آمـــنًا ومـــن يَـــك مـــن غيرِنـــا يَهـــربُ[4]

وأقبل عبدالملك من الشام يريد مصعبًا ومعه خالد بن عبدالله بن أُسيد[5]، فقال خالد لعبد الملك: "إن وجهتنى على البصرة وأتبعتنى خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها"[6]. فوجهه عبدالملك، فقدمها مع مواليه متسخفيًا فى مواليه وخاصته، فالتقى الأموية والزبيرية بالبصرة، ففقئت عين مالك بن مسمع[7]. فقال وهب بن أبجر العجلى:

فـــلا تـــرَج عـــند بـــابِ ابـــن مَـــسمعٍ إذا كنتُ من حيى حنيفة أو عجلِ[8]

---

(١) نفسه.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥١.

(٣) عَدي بن زيد بن مالك بن الرِّقاع بن عاملة، شاعر أموي معروف. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٧٨؛ الأصفهانى: الأغاني، ١/ ٣٦٢.

(٤) العاملي، عَدي بن الرِّقاع (ت، ٩٥هـ/ ٧١٤م): ديوانه، تحقيق: نوري القيسي وحاتم الضامن (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٢٤٨-٢٤٩؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٨٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥١.

(٥) خالد بن عبدالله بن السيد بن أبي العيص بن أمية. ترجمته: الزبير: نسب قريش، ١٨٩؛ ابن حبان: الثقات، ٤/ ٢٠٦.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥٢.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٥٩.

(٨) نفسه، ٢-٤/ ١٥٨.

وقال الفرزدق:

نحـــن نفيـــنا مالِكًـــا عـــن بلادنـــا ونحـــن فقأنـــا عيـــنُه بالنـــيازِكِ[1]

وقال غطفان بن أُثيف[2]:

كـــيفَ رأيـــت نـــصر الأمـــيرا بـــصرحَةِ المِـــربدِ إذ أبـــيرا[3]

وأدرك مصعب مُرَّة بن مِحكان[4] فأمر بقتله، فقالُ مرة:

بنـــى أســـدٍ إن تَقتلونـــى تُحاربـــوا تَميمًا إذا الحربُ العَوانُ اشمعلّتِ[5]

فأقام مصعب بالبصرة ثم شخص إلى الكوفة لحرب عبدالملك، فنزل عبدالملك مَسكن[6]. وكتب إلى المروانية من أهل العراق، فأجابه كلهم، فسار إلى مصعب وقد خذله أهل الكوفة فسأل مصعب عن صنيعِ الحسين بن على بإبائه النزول على حُكم ابن زياد وعزمه على الحرب[7].

فخرج على القتال متمثلًا:

وإن الألى بالطَّـفِ مـن آلِ هاشـمٍ تَأسَّـوا فسَـنّوا للكـرامِ التأسـيا[8]

---

(١) ديوانه، ٥/ ٥٧؛ البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦١.

(٢) أحد بني كعب بن عمرو بن تميم. البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥٣.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٢٠٤/ ١٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥٣.

(٤) أحد بني سعد بن زيد مناة من تميم شاعر إسلامي (ت، ٧١هـ/ ٦٩٠م). ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ٢٢/ ٣٤٨؛ المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٩٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٣؛ المبرد: الكامل، ١/ ١٦٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥٥؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٢٥٧.

(٦) موضع على نهر دجيل. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ١٢٧ (مسكن).

(٧) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦٤-٢٦٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥٦-١٥٧.

(٨) الشعر لسليمان قته. ينظر: البلاذرى: أنساب (مطبعة يولس آبل، غريفرز ولد؛ ١٩٨٣م)، ١١/ ١٤؛ الدنيورى: الأخبار، ٣١١؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٣/ ٢٩٨.

وحَذّر سُويد بن منجوف السدوسى[1] مصعبًا من أهل الكوفة وغدرهم، فقال:

فأبلغ مصعبًا عنّى رَسولاً ... ولا تلقى النَّصيح بكلِّ وادِ
تَعلَّم أنَّ أكثرَ من تناجى ... وإن أدنيتَهُم فهُمُ الأعادِى[2]

وقال الحارث المخزومى يهجو خالد بن عبدالله بن أسيد ويمدح آل الزبير:

حامتَ بنو أسدٍ عن مجدٍ أوّلها ... وأنتم كَنِعامِ القاعَةِ الشُّرُدِ[3]

وبعد أن عزِل مصعب بن الزبير عبيد الله بن زياد بن ظبيان[4] عن البصرةِ وولاه الأحواز لحق بعبد الملك بعد مقتلِ أخيه، فلما كانت الوقعة بين عبدالملك ومصعب عاجل ابن ظبيان مصعبًا بضربةٍ فاحتز رأسه وألقاه بين يدى عبدالملك[5]، وهو يقول:

تُعاطى الملوك الحقَّ ما قسطوا لنا ... وليس علينا قتلهم بمحرَّمِ[6]

فأنشد عبدالملك:

لقد أردى الفوارِسُ يوم حِسى ... غُلامًا غَيرَ مَنَّاعِ المتاعِ
ولا فَرِحٍ بخيرٍ إن أتاهُ ... ولا هَلِعٍ من الحدثانِ لاعِ
ولا قافةٌ والخيل تُردى ... ولا خالٍ كأنبوبِ اليَراعِ[7]

---

(١) أو سويد بن منجوق السدوسي، أبو المنهال. ترجمته: ابن حيان: الثقات، ٤/ ٢٣٢.
(٢) ابن بكار: الموفقيات، ٥٣٤؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٤٣.
(٣) ديوانه، ٥٥؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٤٣. ينظر ما قاله ابن ظبيان في الغدر بمصعب: ابن بكار: الموفقيات، ٥٥٦-٥٥٧. وما قاله البعيث اليشكرى: البلاذري؛ أنساب، ٥/ ٢٨٤؛ فتوح البلدان، ٢٧٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٦٠.
(٤) شاعر فاتك. ترجمته: ابن الكلبى: جمهر، ٥٢٣؛ ياقوت: معجم البلادان، ٥/ ١٧٢ (مسكن).
(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٣٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٦٠.
(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٣٣.
(٧) ابن ابي الحديد: شرح، ٣/ ٢٩٧، ابن كثير: البداية، ٨/ ٣٢١.

وقال عدى بن الرقاع العاملى:

نحن قتلنا ابن الحَوارى مصعبًا ... أخا أسدٍ والمذحجى اليَمانيا[1]

ورثاه عُبيد الله بن قيس الرُّقيات، فقال:

لقد أورثَ المصرين خِزيًا وذِلةً ... قتيلٌ بدارِ الجاثليقِ مُقيمُ

تولّى قِتالَ المارقين بنفسهِ ... وقد أسلماهُ مبعَدٌ وحميمُ

فما نصحت للهِ بكر بن وائلٍ ... ولا صَبرت عِندَ اللقاءِ تَميمُ

ولو كان بكريًّا تعطّفَ حَولَه ... كتائِبُ يعلى حميُها ويدومُ

ولكنَه ضَاع الذِّمامُ ولم يكُن ... بها مُضرى يومَ ذاكَ كَريمُ[2]

ورثى شعراء كُثير مصعبًا منهم أعشى همدان الذى قال:

وأضحى بديرِ الجاثليقِ مُلجبًّا ... فلا يبعدنْ من قَتيلٍ مُلحِّبِ[3]

تمتلك قصيدة أعشى همدان هذه خصوصيتها فى أنها وثقت هذا الحدث بوضوح وكأنها سجل تاريخى أغنى عن الكثير من القصائد التى قيلت فى رثاء مصعب[4]، حينما أشار إلى الغادرين به، من أهل العراق الذين وصفهم بأنهم شر قوم؛ لأنهم مكروا بابن الحوارى، ثم أخذ يسرد من وقف معه وآزره، فقال:

---

(١) ديوانه، ٢٧٨. ويسب الشعر إلى البعيث اليشكري. ينظر: ابن بكار: الموفقيات، ٥٤٤؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٦٠.

(٢) ديوانه، ١٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٦١.

(٣) ولم أقف على البيت في ديوانه. ينظر: ابن بكار: الموفقيات، ٥٥٥.

(٤) ممن رثاه عبدالله بن الزبير الأسدي في ديوانه، ٥٨، ٧٩. والرُّقيات في ديوانه، ٤، ١٣٣، ١٨٤، ١٩٦. وأبو دهبل في ديوانه، ٧٩. ووثق العيد من الشعراء مقتله منهم: أبو العباس الأعمى، وسالم بن وابصة، وابو السفاح اليربوعي، وعرفجة بن شريك، وموسى شهوات والعديل بن الفرخ، والأقيشر الأسدي. ينظر: الزبير بن بكار، الموفقيات، ٤٤٢، ٥٣٨، ٥٣٩؛ البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٥؛ ٥ / ٣٧٧-٣٤٤، ١١/ ١١-١٢؛ الدينورى: الأخبار، ٣١٣؛ المبرد الكامل، ١/ ٢٣؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٠٨.

جَـزى الله حَجَّـارًا هـناك مَلامَـةً ... وفـرخَ عُمـير مِـن مـناجٍ مُـؤَلَّبِ

ومـا كـانَ عَـتابٌ لـه بمناصـحٍ ... ولا كـان عـن سـعى علـيه بمُغـرِبِ

ولا قَطـنٌ ولا بانُـه لم يُناصِـحًا ... فتـبًّا لـسعى الحارِثـى المُتَـبَّبِ

ولا العَتكـى إذا مـال لِـواءَهُ ... فـولى بـهِ عَـنهُ إلى شـرّش مَـوكِبِ

ولا ابـن رُويـم لا سَـقى الله قـبرَهُ ... فـباء بجـدعٍ آخـر الدَّهـرِ مُـوَعبِ[1]

ومن الراجح أن يكون الشعر الذى قيل فى آيلِ الزبير قد أسقطه الشُّعراء من شِعرهم خوفًا من بنى أمية، أو أسطقه الأمويون أنفسهم[2].

وفى سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)[3] وجه خالد بن عبدالله أخاه عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد[4] إلى قتال الأزارقة بفارس فهزموه. فقال الرُّقيات:

عبدالعزيـز فـضحت جيـشك كلَّهـم ... وتـركتهم صـرعى بكـلِّ سـبيلِ

مـن بـين ذى عَطَـشٍ يجـوُد بنفـسهِ ... ومُلحَّـبٍ بـين الـرجالِ قتـيلِ[5]

وقال أحدُ الخَوارج:

إن عـبدَ العزيـز يـوم حـرورٍ ... كـان يـرجو رجـا المُهلـب فينا[6]

---

(١) ديوانه، ٣١٣. ويصف الشاعر مقتل إبراهيم بن الأشتر وإخلاصه لمصعب، وكيف قتل بطريقة تؤكد عمق أثر الشعر في توثيق الأحداث. ينظر: ٣١٤-٣١٥. ومن الممكن ملاحظة ما قاله العجاج في ديوانه، ١١٤-١١٧.

(٢) قاسم، عون الشريف: شعر البصرة في العصر الأموي (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ٥٤.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٦٨-١٦٩.

(٤) توفي في خلافة هشام بن عبدالملك. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ١٢٣؛ ابن حجر: تهذيب، ٦/ ٣٠٦.

(٥) ديوانه، ١٩٠ وفي ديوان الخوارج، تحقيق نايف محمود معروف (دار الميسرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، لأبي حديد وللبيت رواية أخرى في المكان نفسه.

(٦) البيت للحصين بن مالك في شعر الخوارج، ١٠٢.

ويُروى أنهم قتلوا أصحابه وأخذوا امرأته فمَّر بالمهلب فكساه ووصله وحمله، وكان يقودهم قطرى بن الفجاءة[1]، فقال الحارث المخزومى:

فَـرَّ عبدالعزيـز لمـا رأى الأبـ ـطـالَ بالسَّفح نازلـوا قطـريًا[2]

وطلبه خالد القسرى فلحق ببِشر بن مروان وقال:

ومـا كـفَّ عنـى خالـد عـن تَقـيّةٍ ولكن بدت دونى الليوث الهواصرُ[3]

وفى هذه السنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)[4] وجهَ عبدالملك الحجاجَ بن يوسف (ت، ٩٥ هـ/ ٧١٣م) إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، وكان جَواس بن القعطل يحثُّ عبدالملك فى ذلك:

سـيروا إلى الـبلدِ الحـرامِ وشمّـروا لا تُـصلِحوا وسِـواكُمُ مَـولاها[5]

وقال أعشى بنى ربيعة[6] (ت، ١٠٠هـ/ ٧١٨م) يحثه أيضًا:

قومـوا إلـيهم لا تـناموا عـنهم كـم للغـواةِ أطلـتم إمهالهـا[7]

ثم كانت الحرب بين ابن الزبير والحَجاج ببطنِ مكةَ سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م)[8] فرمى الحجاج الكعبة بالمنجنيق، فقال الأقيشر الأسدى:

ولم أرَ جيـشًا بـالحجِ مثلـنا ولم أرَ جيشًا مثلنا غيرَ ما طُرسِ

---

(١) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٨.

(٢) ديوانه، ١٠٩.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٤. ينظر تمام القصيدة.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٨٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٧٦.

(٦) اسمه عبدالله بن خارجة بن حبيب من شيبان من بكر بن وائل. ترجمته: الأصفهانى: الأغانى، ١٨/ ٧٠.

(٧) نفسه، ١٨/ ٧٢.

(٨) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٥٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٨٧.

دلفـــنا لبـــيتِ الله نَمـــرى سُـــتورَهُ بأحجارِنا زمن الولائِدِ فى العرسِ[1]

وقال عبدالله بن مطيع بن الأسود:

أنـــا الـــذى فـــررتُ يـــومَ الحَـــرَّة والـــــشيخُ لا يفـــــرُّ إلا مَـــــرّهْ

لأجـــــزين كَـــــرّة يفـــــرّهْ[2]

ووزع عبدالله بن الزبير فرسانه على أحياء ومداخل مكة، فوثق بعض أصحابه ذلك بقوله:

وجعلـــنا ســـداد المـــأزمين محمّـــدًا وحَمزةَ للمَسعى، وللرَّدم هاشـم[3]

فوثق هذا البيت الأماكن وأسماء المحاربين فحفظ الخبر التاريخى وأغناه وكشف عن أثر الشعر فى حفظ الصِّراعات، فأشار إلى محمد بن المنذر بن الزبير، وحمزة بن عبدالله وهاشم بن عبد الله[4] والمواضع التى قاتلوا فيها.

وكان يقاتل قتالًا شديدًا وهو يقول:

صَـــبرًا عِفـــاق إنّـــه شـــرٌّ بـــاقْ قـبلك سَـنَّ الـناس ضَـربَ الأعـناقْ

قـد قامَـتِ الحرب بنا على ساقْ[5]

وعندما بدأ بعض أصحابه يلحق بجيش الحجاج، قال:

---

(١) الأبيات للأقيشر الأَسدي في المستدرك على شعره: نوري حمودي القيسي، مجلة الرسالة الإسلامية العدد (٦٥)، السنة (٦)، (بغداد، شعبان، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ٦٣. ينظر: الدينورى: الأخبار، ٣١٤. ومنسوبة أيضًا للأقيبل بن شهاب الكلبي. لالبلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٥٨-٣٥٩، ١١/ ٣٩-٤٠؛ الآمدى: المؤتلف، ٢٥.

(٢) الزبيرى: نسب قريش، ٣٨٤؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٧٦؛ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت،٣٢٨هـ/ ٩٣٩م): العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد. العريان، الجزء الأول (المكتبة لاتجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)، ١٠٤-١٠٥.

(٣) ابن بكار، جمهرة، ١/ ٤٨.

(٤) من آل الزبير بن العوام. ينظر: الزبيرى: نسب قريش، ٢٣٦؛ ابن حبان: الثقات، ٧/ ٤٠٥.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٦٤.

فـــرت ســـلامان وفـــرَّت النَّمِـــرْ وقـــد تلاقـــى معهـــم فـــلا نَفـــرْ[1]

رمـى الحجـاج البيـت بالمنجنيـق فسقطـت علـى المنجيـق عاصفة فى يوم مطير، فقال: لا يروعنكم فإنها صواعق تُهامة، وجعل أهل الشام يقولون وهم يرمون:

يـا ابـن الـزبير طـالَ مـا عـصيكا وطـــال مـــا عنَّيتـــنا إلـــيكا

لنَجـــزِينَّ بالـــذى أتـــيكا لنـــضربن بـــسيفنا قفـــيكا[2]

فكان حَجر المَنجنيق يجيء عبدالله بن الزبير فيقال له تنحَّ فيقول:

سَـــهِّل علـــيك فـــإن الأمـــورَ بكـــف الإلـــهِ مقاديـــرُها

فلـــيسَ بآتـــيك منهـــيُّها ولا قَاصـــرٌ عَـــنكَ مأمـــورها[3]

وكان يقاتل فى الرعيل الأول ويتمثل:

فلـــستُ بمـــستطاعِ الحـــياةِ بـــسُبَّةٍ ولا مُرتَقٍ من خِشبةِ الموتِ سُلَّما[4]

وحين قتل رثاه عمرو بن معمر الهذلى فقال:

فإن يـك هـذا الدهـر أودى بمـصعبٍ وأصـبح عـبدالله شِـلوًا مُلحـبًّا[5]

ودخل عبدالله بن الزبير الأسدى على عبدالملك بعد مقتل ابن الزبير فقال:

مـشى ابـن الـزبير القهقـرى فـتقدمّت أُمـية حتـى أحـرزوا القَـصباتِ

وجئت المُجلِّى يـا ابـنَ مَـروان سابقًا أمـام قـريشٍ تـنفضُ العـذراتِ[6]

---

(١) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت، ٩٧هـ/ ١١٩م): صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، الجزء الأول (مطبعة الأصيل، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠/)، ٧٧١.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٦٣.

(٣) نفسه، ٥/ ٣٦٢.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٩١؛ ابن الجوزى: صفة، ٧٧٠.

(٥) المرزبانى: معجم الشعراء، ٤٤. ولجعفر بن الزبير في قتاله مع أخيه. الأصفهانى: الأغاني، ١٥/ ٧.

(٦) ديوانه، ٦٤. ينظر ما قاله أبو دهل في ديوانه، ٧٥ وما قاله سليمان بن سلام الجمحي في البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٧٨.

وفى سنة (٧٤هـ/ ٦٩٣م)[١] ولى المُهلب بن أبى صفرة حربَ الأزارقة[٢] من قبل عبدالملك. فقال رجل من الخوارج يرتجز:

قل للمحلين أتاكم صالحُ

وصالح فى الحرب كبش ناصحُ[٣]

وناهضهم المهلب فأجلاهم عن رامهُرمُز[٤] من غيرِ قتال شديد حتى نزلوا كازرون[٥] وذلك فى السنة التالية[٦] (٧٥هـ/ ٦٩٤م) فزحفوا إلى المهلب ليلًا ليبيتوه، فوجودوه قد أخذ حذره، فمالوا نحو عبدالرحمن بن مخنف[٧] (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٤م) فوجوده لم يخندق فقاتلوه، فانهزم عنه أصحابه، فنزل فقاتل فى أناس من أصحابه فقتل، وقتلوا حوله، فقال شاعرهم:

لمن العسكرَ المكّللُ بالصَّر عى فَهُم بين ميّتٍ وقتيلِ[٨]

وقال سراقة بن مرداس يرثيه ويوثق مكان مقتله:

ثوى للأزدين أزد شنوءة وأزد عُمان رَهن رَمس بكازرِ[٩]

وفى هذه السنة (٧٥هـ/ ٦٩٤م)[١٠] ولى عبدالملك الحجاجَ بن يوسف الثقفى

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٩٥.

(٢) وهم أصحاب نافع بن الأزرق. ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (ت، ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م): الملل والنحل، تعليق أحمد فهمي محمد، الجزء الأول (مطبعة حجازي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م)، ١٧٩.

(٣) الرجز لصالح بن مخراق العبدي. ينظر: شعر الخوارج، ١٢٤.

(٤) مدينة بنواحي خراسان. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٧ (رامهُرمُز).

(٥) مدينة بفارس بين البحر وشيراز. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٤٩ (كارزون).

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢١١-٢١٢.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: ديوان الخوارج، ٢٣٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢١٢.

(٩) ديوانه، ٤٣. ينظر، ٤٤-٤٥.

(١٠) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٠٢-٢٠٣.

(ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م) العراق دون خراسان وسجستان، فقدم الكوفة وخطب فى مسجدها، فقال متمثلاً:

أنـــا ابـــنُ جَـــلا وطَـــلّاع الثَّـــنايا متـــى أضَـــعِ العِمامـــة تعرفونـــى[١]

وأمر الناس بالالتحاق واشهر السيف على من يتخلف، وقتل فعلًا عُمير بن ضابى[٢]، فقال عبدالله بن الزَّبير الأسدى:

تخـير فإمـا أن تـزور ابـن ضـابئ عُمـيرًا وإمـا أن تـزور المُهلـبا[٣]

ثم بعث المدد على المهلب لقتال الخوارج فقال الشاعر:

قـل للمهلـب قـد أتـتكَ معاشـرًا حُشروا إليك كَحشرِ أهل البَرزَخ[٤]

وقال سَوَّار بن المُضرب[٥]، وكان عاصيًا:

أقاتلـى الحجـاج إن لم أدر لـه درت وأتـرك عـند هـندٍ فـؤاديا[٦]

فقال العديل بن الفرخ[٧] (ت، ١٠٠هـ/ ٧١٨م):

لقـد جـرّد الحَجـاج للحـقِّ سـيفَهُ ألا فاسـتقيموا لا يمـيلَنَّ مَائِـلُ[٨]

وفى سنة (٧٦هـ/ ٦٩٥م)[٩] دخل شبيب[١٠] (ت، ٧٧هـ/ ٦٩٦م) الكوفة

---

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحى: ينظر: الجاحظ: البيان، ٢/ ٣٠٨؛ المبرد: لاكامل، ١/ ١٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٠٢؛ ابن أعثم: الفتوح، ٧/ ٥.

(٢) عمير بن ضابئ بن الحارث اليرجمي قتل سنة ٧٥هـ. ينظر: المرزباني. معجم الشعراء، ٧٣.

(٣) ديوانه، ٥٤. ينظر تمام القصيدة.

(٤) البلاذرى: أنساب، ١١/ ٢٧٧: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢١١.

(٥) أحد بني ربيعة بن كعب بن سعد. ينظر: البلاذري، أنساب، ١١/ ٢٧٨.

(٦) نفسه.

(٧) من بني عجل من بكر بن وائل (ت، ١٠٠هـ/ ٧١٨م). ينظر ترجمته: الجاحظ: البيان، ١/ ٣٩١؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٣/ ٢٧٥.

(٨) شعره، شعراء أمويون، ١/ ٣٠٥.

(٩) بن خياط: تاريخ، ١/ -٢٧٢-٢٧٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٢٤.

(١٠) شبيب بن يزيد بن نعيم الشباني أحد زعماء الخوارج. ترجمته: ابن قتيبة: المعراف، ٤١٠؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٤٥٤.

ومعه زوجته غزالة[1]، فقال عمران بن حطان[2] مخاطبًا الحجاج حين لج فى طلبه:

أسدُ علىَّ وفى الحروبِ نعامَةٌ ... ربداءُ تَجفلُ من صَفيرِ الصافرِ

هلَّا برزت إلى غَزالةٍ فى الوَغى ... بل كان قلبك فى جناحى طائِرِ

صَدَعت غَزالةُ قلبَهُ بفوارسٍ ... تركت منايره كأمسِ الدابرِ[3]

وقد وَّظف عمران بن حطان ((مواهبه الشعرية فى خدمة مذهبه، فلا عجب أن يبدى الحجاج قلقه وخوفه من انتشار أفكاره))[4] خشية إفساد الناس عليه.

وضرب شبيب باب القصر فى الكوفة، ثم قال:

وكأن حافرَها بكل خَميلةٍ ... كيلٌ يكيلُ به شحيحٌ معدِمُ

عَبدٌ دَعِى من ثمودٍ أصلُه ... لا بل يُقالُ أبو أَبيهم يَقدُمُ[5]

يشير إلى نسب الحجاج، ونسب ثقيف فيطعن فيهم.

وفى سنة (٧٧هـ/ ٦٩٦م)[6] دخل شبيب الكوفَة ثانيةً، فقتلَ عتاب بن ورقاء[7] الرياحى (ت، ٧٧هـ/ ٦٩٦م)، فقال يزيد بن حبناء[8]:

---

(١) هي زوجة شبيب. ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ٤١٠؛ ابن خلكان، وفيات، ٢/ ٤٥٤.

(٢) عمران بن حطان السدوسي من شعراء الخوارج (ت، ٨٤هـ/ ٧٣٠م). ترجمته: الجاحظ: البيان، ١/ ٤٧؛ الأصفهانى: الأغاني، ١٨/ ٥٠.

(٣) شعر الخوارج، ١٦٦. ينظر: ما قاله عتاب أصيلة الشيباني، ١٨٢-١٨٣.

وحول غزالة ينظر: ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٤؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٤٥٤.

وحول ما قاله مصقلة بن عتبان الشيباني ينظر: المسعودى: مروج، ٣/ ١٩٣.

وما قاله ايمن بن خريم: ديوانه، ٤٣.

(٤) خليقات، عوض محمد: نشأة الحركة الأباضية (مطابع دار الشعب، عَمَّان، ١٩٧٨م)، ٧٣.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٤١.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٥٧-٢٦٧.

(٧) نسبه عند ابن الكلبى: مهرة، ٢١٧.

(٨) يزيد بن حبناء ابن عمرو. ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ١/ ٢٢٠.

ونجى ابن ورقاءَ الرياحى سابحٌ شديدُ مَناطِ القصرين عثمثمِ[1]

فقال أحد الخوارج:

ألوَت بعتّابٍ شوارد خيلنا ثم أنثنت لكتائبِ الحجاجِ[2]

ووقع الاختلاف بين الأزارقة أصحابَ قطرى بن الفجاءَة، فخالفه بعضهم واعتزله، وبايعَ عبدربه الكبير[3]، وأقام بعضهم على بيعة قطرى. فنهض إليهم المُهلب، فقاتلوه قتالًا شديدًا، فلما اشتد الحصار على قَطرى حاول الهرب[4]، فقال له أحد أصحابه:

فَمت قطرى إن فى الموتِ راحةً وأنت لديهِ لا محالة صائِرُ[5]

وقال كعب بن معدان الأشقرى مشيرًا إلى أيام المهلب:

حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد شُبت لنا ولهم نارٌ لها شَرَرُ[6]

وعن أيام المهلب فى قتالهِ الخوارج فى سابور[7]، قال مجاهد بن عظيم التميمى:

إنما تطمع الأزارق فى الحر بِ إذا لم يكن قتالَ حبيب

فإذا وُلى القتالَ حبيبٌ فلهم عند ذاكَ كِنه نحيب

---

(١) شعر الخوارج، ٨٤. ينظر: ما قاله عبدالواحد الأزدي في هزيمة سبب في السبخة، ١٨٤.

(٢) الأبيات لحبيب بن خدرة الهلالي مولاهم ينظر تمامها. شعر الخوارج، ٢١٠-٢١١؛ ديوان الخوارج: ٤١.

(٣) ترجمته: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٠١.

(٤) نفسه، ٦/ ٣٠٠-٣٠٤.

(٥) هو حصين بن حفصة السعدي، شعر الخوارج، ١٠٤. ينظر: تمام القصيدة وينظر: قول عبيدة بن هلال اليشكري في عبد ربه الكبير، ٩٨ وأحد الأزارقة، ١٣٤.

(٦) شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٣٩٨. للمزيد، ٣٩٦، ٤١٣.

(٧) شاه بور، قرب شيرا. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٦٧ (سابور).

سَـل لعمـورِ القـنا غـداةَ كـنا الـ ـمهـرة والـسِّنان مـنه خـضيب[1]

وفى ذلك يقول المغيرة بن حبناء:

إن المهلـب فـى الأيـام فـضله على مـنازل أقـوام إذا ذكـروا[2]

وكان المهلب يعلم جُنده تَعليمًا حرفيًا صارمًا، حتى أن المغيرة بن حبناء حاوره بعد أن انتهى من إحدى خطبه شعرًا، فقال:

يعلمـنا المهلَّـبُ كـلَّ يـومٍ قِـتالَ القـومِ تَعلـيم الكِـتابِ
ويلبـسنا الـسِّلاح إذا أمـنّا لـنحدقَ لبـسَهُ والـنقع كـابِ
وعـابَ حياتـنا بـالجبن حتـى كـأن حياتـنا ديـن المُعـابِ
ويجـزى المحـسنين بمـا أتـوه ويعفـى المذنـبين مـع العـتابِ
ويـضرب دونـنا بالـسيف صَـلتاً ويـضرب كـلَّ مطـرَّدِ الكعـابِ[3]

وحاصر سفيان بن الأبرد الكلبى[4] فى سنة (٧٧هـ/ ٦٩٦م)[5] الخوارج من أصحاب عبيدة بن هلال، فأمر سفيان مناديه فنادى فيهم: أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن، فقال عبيدة:

لعمـرى لقـد قـام الأَصـمُ بخطـبةٍ لـذى الشَّك منها فى الصُّدورِ غَليلُ
لعَمـرى لـئن أَعطيت سُـفيانَ بَيعتـى وفارقـت دينـى إننـى لَجَهـولُ[6]

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٣٧. ينظر: ما قاله عمرو لاقنافي شعر الخوارج، ٨٨، ١٣٥.
(٢) شعره، شعراء أمويون، ٣/ ٧٨.
(٣) شعراء أمويون، ٣/ ٨٠-٨١.
(٤) من بني حارثة بن جناب من كلب. ينظر: ابن حزم: جمهرة، ٤٥٧.
(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١١.
(٦) شعر الخوارج، ١٠٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١١. ينظر الأبيات (١-٨).

وفيها تقاعس أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد[1] (ت، ٨٧هـ/ ٧٠٥م) عن الجهاد فكتب أهل خراسان إلى الحجاج:

أحجاج بن يوسف أنتَ راعٍ وراعى القوم يحفظ ما أضاعُوا
وإنا معشر من جَذم قَيسٍ لنا فى الناسِ مكرمة وباعُ[2]

ولما أحرق أميَة السفن قال أحد أصحابه:

تركت أمرك من جبنٍ ومن خَوَرٍ وجئتنا حُمُقًا يا ألامَ العَربِ
لما رأيتَ جبالَ السُّغد مُعرضَةً ولَيتَ موسى ونوحًا عُكوةَ الذَنَبِ[3]

وعبر أمية نهر بلخ[4]. فقال عبدالرحمن بن خالد المخزومى[5]:

ألا أبلغ أمية أن سيُجزى ثوابَ الشَّرِ إن له ثوابا[6]

وفى سنة (٧٨هـ/ ٦٩٧م)[7] كان هلاكَ شبيب وقطرى وعبيدة بن هلال وعبد ربه الكبير من زعماء الخوارج، وكان قطرى يرتجز يوم قتل شبيب ويقول:

أنا أبو نعامَة الشيخ الهبَلّ أنا الذى وُلدت فى أُخرى الإبل[8]

وهو حين يوثق الحدث فى شعره يكشف عن صورة واضحة لحقيقة قلبه وعقله، فهو صدى لعقيدة الخوارج، فى مجابهة الموت ومقارعة الخصوم، فرثاهم الأصم الضّبى[9] فقال:

---

(١) أموي النسب. ترجمته: ابن حيان: الثقات، ٤/ ٤٠؛ ابن حجر: تهذيب، ١/ ٣٢٥.
(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٧/ ١٦.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١٣.
(٤) مدينة مشهورة بخراسان. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٧٩ (بَلخ).
(٥) عبدالرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة. الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١٧.
(٦) نفسه.
(٧) الطبرى: تاريخ، ح٦/ ٣١٨.
(٨) شعر الخوارج. ص١٢١.
(٩) هو قيس بن عبدالله، أحد بني عبدمناة بن بكر بن سعد بن ضبة، شاعر كان حرُوريًا. ترجمته: الآمدى: المؤتلف، ٥٢.

ذكرتُ الشّراة الصالحينَ وقَد فنوا ... وذكرَّنى أهلَ القُرانِ السذوّرُ

بقومِسَ فارفضت من العين عَبرةً ... يجودُ بها رَيعانها المتحدرُ

فقلت لأصحابى قفوا حين أشرفوا ... قليلًا لكى نَبقى وقوفًا وننظرُ

إلى بلدِ الشارين أضحت عظامُهُم ... تضَّمنها من أرضِ قومسَ أَقصرُ[1]

وغزا شريح بن هانى الحارثي[2] (ت، ٧٩هـ/ ٦٩٨م) سجستان فى سنة (٧٩ هـ/ ٦٩٨م)[3] فكان يرتجز ويقول:

أصبحتُ ذا بث أقاسى الكِبَرا ... قَد عِشتُ بين المشركينَ أَعصَرا

ثُمَّتَ أدركتُ النبى المُنذِرا ... وبعدَهُ صِدِّيقَهُ وعُمرا

ويومَ مهرانَ ويومَ تُستَرَا ... والجَمعَ فى صفينهم والنهرا

وباجُمراتٍ مع المُشقرَّا ... هيهات ما أطولَ هَذا عُمُرا[4]

ذهب سيل الجحاف بالحُجَّاج بمكةَ سنة (٨٠هـ/ ٦٩٩م)[5] فى يوم الاثنين، فقال الراجز:

لم تَر عينى مِثلَ يوم الاثنينِ ... أكثرَ محزونًا وأبكى للعينْ

وخرج المحبَّات يسعينْ ... ظواهرًا فى جبلين يَرقينْ

وذهب السيلُ بأهل المصرينْ[6]

---

(١) شعر الخوارج، ١٢٧؛ ينظر حول أحداث الجوع في هذه السنة ما قاله أعشى همدان في ديوانه، ٣١٧.

(٢) شريح بن هاني بن فريد الحارثي، أبو المقدام. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٤/ ٣٥٣؛ ابن جر: تهذيب، ٤/ ٢٩٠.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٢٢.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٤٥١.

(٥) سمى بذلك لأنه ذهب بكثير من الحاج وأمتعتهم ورحالهم. ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ٣٥٧.

(٦) نفسه، ٣٥٧.

وفى سنة (٨١هـ/ ٧٠٠م)[١] قتل بحير بن ورقاء الصُّريمى بخراسان، وكان الأبناء توعوده، فقال:

توَعَّدنـــى الأبـــناء جهلًـــا كأنَّمـــا ... يرون فِنائى مُقفِرًا من بنى كعب[٢]

فحضَّ عليه عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد، أحد بنى عوف بن سعد من الأبناء رجلًا من آل بكير، فقال:

فلو كنتَ من عوفِ بن سعد ذُؤابةً ... تـــركتَ بَحـــيرًا فـــى دَمٍ مُتَرقـــرق

فقـــل لـــبحَيرٍ نم ولا تخـــشَ ثائِـــرًا ... بعـــوفٍ فعـــوفٌ أهـــل شـــاةٍ حَـــبَلَّقِ

- - - - - - - - - - - - ... - - - - - - - - - - - -

فلـــو كـــان بكـــر بـــارزًا فـــى أداتِـــهِ ... وذى العـرش لَـم يُقدم عليه بحيرُ[٣]

وفى سنة (٨١هـ/ ٧٠٠م)[٤] خالف عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث[٥] (ت، ٨٤هـ/ ٧٠٣م) الحجاج ومن معه من جند العراق، فتمثل حين سار:

خلـــعَ الملـــوكَ وســـارَ تحـــتَ لـــوائِهِ ... شَـــجرُ العُـــراءِ عراعـــر الأقـــوامِ

وأغـــرُّ مِـــن ولَـــدِ الأرقـــامِ ماجـــدٍ ... صـــلتُ الجـــبين مُعـــوَّدُ الإقـــدامِ[٦]

فأخذ يستميل عُبَّادَ أهلِ الكوفةِ وقُرائهم حتى خرجوا معه وآتيهم الناس، ثم انقاد إلى طاعته أهل البصرة فبايعوه على حرب الحجاج وخلع عبدالملك[٧]. فلما بلغ الحجاج ذلك كتب إلى عبد الملك يسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه، متمثلًا بقوله:

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣١.

(٢) نفسه، ٦/ ٣٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٤٥٧.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣١. ينظر ما قاله أحد الأبناء: ٦/ ٣٣٤.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٤.

(٥) من كندة خالف الحجاج فقتل. ترجمته: الذهبي، العبر: ١/ ٧٤؛ ابن حجر: تهذيب: ٦/ ٢٣.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ الدينورى: الخبار، ٣١٧؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٣١.

(٧) ينظر: الدينورى: الأخبار، ٣١٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤١؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٣١؛ الأصفهانى: الأغاني، ٦/ ٤٦.

سائِل مجاور جَرمٍ هل جنيتُ لهم حَربًا تُفرِّقُ بين الحيرةِ والخُلُطِ
وهل سَموتُ بجرَّارٍ لَهُ لجَبٌ جَمٌّ الصَّواهلِ بين الجمِّ والفُرُطِ
وهل تركتُ نساءَ الحي ضاحيةً فى سَاحةِ الدارِ يستوقِدْنَ بالغُبطِ[1]

فكتب إليه عبدالملك كتابًا وجعل فى طيه جوابًا لابن الأشعث:

ما بلُّ مَن أسعى لأجبُرَ عَظمهُ حِفاظًا وينوى من سَفاهةٍ كَسري
أظنُّ خُطوبَ الدَّهرِ بيني وبينهم ستحملُهُم منى على مَركبٍ وعرِ
وإنِّى وإيّاهم كَمِن نَبَّهَ القَطا ولو لم تَنبَّهْ باتت الطَّير تَسرِي
أناةً وحلمًا وانتظارًا بهم غَدا فما أنا بالوانى ولا الضَّرعِ الغُمرِ[2]

وخرج ابن الأشعث من سجستان إلى العراق كان بين يديه أعشى همدان[3] يرتجز:

شَطَّت نَوى مَن دارُهُ بالإيوانْ إيوانُ كِسرى ذى القِرى والرَّيحانْ
فالبند ينجينِ إلى طرداستانْ فالجسرِ فالكوفة فالغريَّانْ
من عاشقٍ أضحى بزابُلستان إن ثَقيفاً منهم الكَذّابان
كَذابُها الماضى وكذابٌ ثانْ أمكن ربى من ثقيف هَمدان[4]

إذ يوثق هذا الرجزك الغطريف (عبدالرحمن) وقبائل قحطان وبنى معد بن عدنان ومذحج وهمدان، ويهدد الحجاج وابن مروان. ويدعو الأخنس بن غياث[5] بن الأشعث بالأزهر حينما يخاطب الحجاج بقوله:

---

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ المبرد: الكامل، ١/ ١٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٨.
(٢) المبرد: الكامل، ١/ ١٦١.
(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٧.
(٤) ديوانه، ٣٤١-٣٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٧. وينظر: رجز ابنة سهم بن غالب الهجيمي حيث وصف عبدالرحمن بالمنصور. البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٣٤.
(٥) أحد بني صعب بن وهب من نزار، شاعر فارس. ترجمته: الآمدي، المؤتلف، ٣٠.

ألَـم تَـر أن الأزهـرَ بـن محمَّـدٍ لمـا عـاقَ مـن المحلِّـينَ مانِـعُ
رآهـم أناسًـا يـنطقونَ عـن الهَـوى بَـديعًا ومـا فـى المحكمـاتِ بدائِـعُ[1]

وفى سنة (٨٢هـ/ ٧٠١م)[2] كانت وقعة الزاوية[3] بين الحجاجج وابن الأشعث، وفيه قتل الطفيل بن عامر بن واثله[4] ت، ٨٢هـ/ ٧٠١م)، وقد كان وهو بفارس يقبل مع عبدالرحمن من كَرمان[5] الحجاج:

ألا أبلـغ الحجـاجَ أن قـد أظلَّـهُ عـذابٌ بأيـدى المؤمـنينَ مُـصيبُ
مَتـى نَهبـط المصرين يَهـرُب مُحمَّـدٌ وليس بمُنجى ابـن اللعينِ مُـصيبُ[6]

وأصيب الحَريش بن هلال السَّعدى، وكان يقاتل قتالًا شديدًا ويرتجز:

أنـا الحَـريش وابـو قُدامَـه أضـربُ بالسيف مقبلَ الهامَـهْ
أشجع مـن ذى لِـبدٍ ضـرغامَه[7]

وخرج أَبو جلدة اليشكرى[8] بين الصَّفين وهو يقول:

تـركناهُمُ صَـحنَ العـراقِ وناقلـت نـبأ الأعوجيَات الطِّـوالِ الـشَّرامِحُ
فقـل للحَـواريَّاتِ يبـكين غيرنـا ولا تبكـنا إلا الكِـلابُ الـنوابحُ[9]

---

(١) نفسه.
(٢) ابن خياط، تاريخ، ١/ ٢٨٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤٢.
(٣) موضع قرب البصرة كما في ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢١٨ (الزاوية).
(٤) أحد بني كنانة بن خزيمة بن مدركة. ترجمته: الآمدى: المؤتلف، ٢١٨؛ ابن الكلبى: جمهرة، ١٤٦.
(٥) ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٥٤ (مكران).
(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤٣. ينظر ما قاله أبو حراية عن ابن الأشعث. البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٣٥.
(٧) البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٥٠-٣٥١. وينظر: رثاء حميدة بنت زياد لأبيها، الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤٤.
(٨) أبو جلدة بن عبيدة بن منقد، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج. ينظر: الأصفهانى: الأغاني، ١١/ ٢٩١.
(٩) شعره، شعراء أمويون، ٤/ ٣٣٧.

وقال أبو الطفيل[1] (ت، ١٠٠هـ/ ٧١٨م) يرثى ابنه وقد قتل مع ابن الأشعث:

وسار من أرضِ خاقانَ التى غَلَبت ... أبناء فارِسَ فى أرجائِها غَلَبا

حتى وردتَ حياضَ الموتِ فانكشفت ... عنكَ الكتائِبُ لا تُخفى لها عَقِبا

ومن سَجستانَ أسبابٌ تزينّها ... لكَ المنّيةُ حِينًا كان مُجتنَبا[2]

كان البَراء بن قَبيصة بن ابى عقيل مع الحجاج فانهزم، فقال الحجاج لا آمنته إلا أن أضربه ضربة بالسيف، فقال:

أخوف بالحجاجِ يومًا ومن يكن ... طريدةُ ليث العراقينِ يغَرَقِ[3]

وصبر آل سعيد بن العاصِ مع الحجاج فقال عبيد بن موقف كاتب الحجاج ومولاه:

لعمرى لَقد فرَّ البراء وابن عمهِ ... وفرت قريشٌ غيرَ آل سعيدِ[4]

وقال العجاج يمدح الحجاج ويعرض بأصحاب ابن الأشعث:

فوجدوا الحجاجَ يأبى الهضَّا

لا فانيًا ولا حديثًا غَضّا

ومن صريح الأكرمين مَحضا[5]

---

(١) عامر بن وثالة بن عبدالله الكناني شاعر أموي مقل. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ح١٥/ ١١٤؛ البغدادى: خزانة، ٣/ ٤١.

(٢) أبو الطفيل، عامل بن وائلة الكناني (ت، ١٠٠هـ/ ٧١٨م): ديوانه، تحقيق. الطيب العشاش (مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٢٧.

(٣) البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٧.

(٤) يعني مصعب بن عبدالله بن عقيل. نفسه، ١١/ ٣٤٧.

(٥) ديوانه، ٩١. ينظر: أيضًا رائيته، ٣٩٢ وما بعد. ونونية الفرزدق في ديوانه، ٢/ ٣٢٨.

وفى سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م)[١] كانت وقعة دير الجماجم[٢]، فقاتله فيها سفيان بن الأبرد الكلبى، فقال أعشى همدان وكان مع ابن الأشعث:

وكـرت لعينـا خـيل سُـفيان كَـرَّةً بفرسـانِها والـسَّمهرى مَقـصدا
وسُـفيان يهـديها كـأنَّ لـواءَه مـن الطَّعنِ سِندٌ باتَ بالصَّبغ مُجسدًا[٣]

توثق هذه القصيدة سير المعركة بوضوح تام فتعبر عن أثر الشعر فى طبيعة الحدث التاريخى، فالشاعر يصف طبيعة هزيمة العراقيين وتشتت جموعهم، وكيف كان الحجاج يكافحهم حيث يقول:

فمـا لـبث الحجـاج أن سـلَّ سـيفه عليـنا فـولى جمعـنا وتـبددا
ومـا زاحـفَ الحجـاج إلا رأيـتَهُ مُعانًـا مُلقًـى مُعـوَّدًا[٤]

ويبدو أن الأعشى قالها بعد هزيمة ابن الأشعث وانتصار جيش الحجاج؛ لأن فيها إطراء لشجاعة الحجاج كمحاولة لكسب وده وتخليص رقبته من سيفه، ولكنه لم يفلح.

وقال أحد الشعراء:

إن يهلـك الحجـاج فالمـصرُ مـصرُنا وإلَّـا فمـثوانا بديـر الجمـاجمِ[٥]

وقال آخر:

ضـربًا يُـزيل الهَـامَ عـن مقـيلهِ ويـذهلُ الخلـيلَ عـن خلـيلةِ[٦]

---

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٤ وفيه (سنة ٨٢)؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥٧.
(٢) بظاهر الكوفة، والجمجمة: القدح من الخشب، وسمي بذلك لأنه كان يعمل فيه الأقداح من الخشب. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٥٠٣-٥٠٤ (دير الجماجم).
(٣) ديوانه، ٣٢١.
(٤) ديوانه، ٣٢٠.
(٥) البكرى: معجم ما استعجم، ٢/ ٥٧٤. والأبيات للضحاك اليربوعي.
(٦) المسعودى: مروج، ٣/ ١٣٣. ينظر في هذا المكان ما قاله النابغة الجعدي.

وحذرت ليلى الأخيلية[1] (ت، ٨٠هـ/ ٧٠٠م) عبد الرحمن بن الأشعث من محاربة الحجاج فقالت:

فـــدونكها فَـــذُق كأسًـــا قـــتولاً علـــى طَعمـــينِ: ممقـــورٍ وسُـــمِّ[2]

وأخفق ابن الأشعث فى ثورته بعد أن انتبهت الترك ما كان بيد العرب الذين معـه، فضَلَّ نفسه فى الطريق[3]. فكَانت هزيمته القاتلة فى مسكن سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م)[4] تمهيدًا لمقتله فى سنة (٨٥هـ/ ٤٠٧م) حين جيء برأسه إلى الحجاج فقال:

أبـــى حيـــنه والمـــوت إلا تَهـــوُّرا فـــصادَفَهُ عـــبَلُ الـــذراعِ شَـــتيمُ

كـــريُه المحـــيا باسِـــلٌ ذو عـــزيمَةٍ فَـــروسٌ لأعـــناقِ الكُمـــاةِ أزيـــمُ[5]

وحين أُرسل رأس ابن الأشعث إلى عبدالملك، قال متمثلًا:

أرادت عِـــرارًا بالهـــوان ومـــن يُـــرد لعَمـرى عِـرارًا بالهَـوانِ فقـد ظلـم[6]

أتى الحجاج بأعشى همدان، فقال: إيه يا عدو الله! أنشدنى قولك: "بين الأشج وبين قيس"[7]، أنفِذ بيتك، قال: بل أنشدك ما قلت لك؛ قال: بل أنشدنى هذه؛ فأنشده داليته التى يقول فى مطلعها:

أبـــى الله إلا أن يُـــتمم نُـــورَه ويُطفـئ نـورَ الفاسـقين فَـيَخْمُدا[8]

---

(١) ليلى بنت الأخيل من عقيل بن كعب، شاعرة إسلامية أموية صاحبة توبة الحمير.
ترجمتها: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٦٠؛ الأصفهانى: الأغاني، ١١/ ١٩٤.

(٢) ليلى الأخيلية (ت، ٨٠هـ/ ٧٠م): ديوانها، تحقيق خليل العطية وإبراهيم العطية (دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ١٦٦.

(٣) أبو عبيدة: النقائض، ١/ ٤١٣.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٦٦، ٣٨٩.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٩.

(٦) المبرد: الكامل، ١/ ١٦٠.

(٧) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٧٥-٣٧٦.

(٨) ديوانه: ٣٢٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٧٦.

حتى أكملها، فقال: أهل الشام: أحسن، اصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إنا لسنا نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف إلا يكون ظهر وظفر، وتحريضًا علينا، وليس عن هذا سألناك، أنفذ لنا قولك:

بين الأشج وبين قيس باذخ

فأنفذها، فلما قال:

بَخْ بَخْ لوالدِهِ وللمَولودِ

قال الحجاج: لا والله لا تبخبخ بعدها لأحدٍ أبدًا، فقدمه فضرب عنقه[1].

وكان الأعشى هجا الحجاج فى عدة قصائد، منها قوله:

مَن مُبلغ الحجاجَ أنى قد نَدبت إليه حَربا

حربًا مذكرَة عَوانا تتركُ الشُّبان شُهبا

وصفقتُ فى كفِّ امرئ جُلدٍ إذا ما الأمرُ عَبّا

لابن الأشج قريع كندة لا أبين فيه عَتبا

أنتَ الرئيسُ ابن الرئيس وانتَ على القوم لعبا

نبئت حجاجًا بن يوسف خَرَّ من زلقٍ فتبًّا[2]

مما يجعل هذه الثورة ذات نزوع طبقى ودينى نتيجة شدة وطأة الحجاج على أشراف أهل الكوفة، إذ أنف أشراف القبائل من معاملة

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٧٨. والشعر للأعشى، ديوانه، ٢٣٢. ينظر موقف آخر للأعشى عند الأصفهانى: الأغاني، ٦/ ٥٨ وديوانه، ٣٤٢.

(٢) ديوانه، ٣١١-٣١٢.

الحجـاج الجـارحـة، وهـو ممثـل سلطان الدولة، وهو ما يعكسه شعر أعشى همدان[1].

وحين رأى عبدالملك من الحجاج إسرافًا فى قتل الأسرى كتب إليه فى أسفل كتابه:

إذا أنـتَ لم تـترك أمـورًا كـرهتها وتطلـب رضـائى بالـذى أنـا طالِـبه

فى سبعة ابيات، فأجابه الحجاج فى أسفل كتابه فى سبعة أبيات أيضًا:

إذا انـا لم أتـبع رضـاك وأتقـى إذاكَ فيومـى لا تـزولُ كواكَـبهُ[2]

وغزا المفضل[3] بن المهلب بن ابى صفرة (ت، ١٠٢هـ/ ٧٢٠م) سنة (٨٥هـ/ ٧٠٤م)[4] خراسان فقال كعب بن معدان الأشقرى:

ترى ذا الغنى والفقر من كل مَعشرٍ عـصائِبَ شَـتّى ينـتوُون المفـضَّلا[5]

وفى سنة (٨٥هـ/ ٧٠٤م)[6] أراد عبدالملك خلعَ أخيه عبدالعزيز، فنهى عن ذلك، فلما توفى بمصر فى جمادى الأولى من هذه السنة، وكان الحجاج زين لعبد الملك بيعة الوليد فأوفد وفدًا عليهم عمران[7] بن عصام العنزى، فقال:

أمـيرَ المؤمـنين إلـيك نُهـدى علـى الـنأى التحـيةَ والـسَّلامَا

---

(١) فلهوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ترجمة محمد عبدالهادي أبو زيد، مراجعة حسين مؤنس (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م)، ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) المسعودى: مروج، ٣/ ١٣٤-١٣٥؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٣٥-٣٦.

(٣) الأزدي، أبو غسان، اشترك مع أخيه يزيد في ثورته. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٧/ ٤٩٦؛ ابن حجر: تهذيب، ١٠/ ٢٤٦.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٩٧.

(٥) شعراء أمويون، ٢/ ٤١٤. ينظر إشادته بيزيد بن المهلب في غزو قلعة (باذغيس): ٢/ ٤١٦.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٢-٤١٣.

(٧) القاص الشاعر. ترجمته: ابن حجر: تهذيب، ٨/ ١١٩.

أجبنـى فـى بنـيك يكُـن جوابـى لهـــم عاديـــةً ولـــنا قـــواما
فلـــو ان الولـــيدَ أُطـــاعُ فـــيه جَعلـتَ لـه الخِلافـةَ والـذِّماما[1]

وبعد أن فرغ الشاعر من إنشاد قصيدته، قال له عبدالملك: يا عمران، إنه عبدالعزيز، قال: احتل له يا أمير المؤمنين[2]. وهذا ما يشكك بنوايا عبدالملك نحو أخيه حين تمثل فقال:

يـا أيهـا المتمنـى أن تكـون فتـىً مثل ابن ليلى لقد خلّى لك السبلا
إن تَرَحلِ العيس كى تسعى مساعيه يشفقْ عليكَ وتعمل دون ما عملا[3]

وكان نابغة[4] بنى شيبان (ت، ١٢٥هـ/ ٧٤٢م) منقطعًا على عبدالملك مداحًا له، فدخل إليه فى يوم حفل والناس حواليه وولده قدامه، فأنشده:

لابـــنكَ أولى بمُلـــكٍ والـــدٍ ونجـمُ مـن قـد عـصاك مُطـرَّحُ
داود عـــدل فـــاحكُم بـــسيرتِهِ ثـم ابـنُ حـربٍ فـإنَّهم نَـصحوا[5]

فتبسم عبدالملك ولم يتكلم فى ذلك بإنذار ولا دفع؛ فعلم الناس أن رأيه خلع عبدالعزيز[6].

ولعل ذلك حصل بتوجيه من عبدالملك كما فعل مسكين الدارمى حينما أشار إلى تولية يزيد بن معاوية، ثم أضاف إليها سيرة داود بتأثير نصارنيته، وما يؤكده قول

---

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٣؛ ابن كثير: البداية؛ ٩/ ٥٩.
(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٤.
(٣) الخارجي، محمد بن بشير: شعره، تح: محمد خير البقاعي (درا قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ١٠٣.
(٤) عبدالله بن المخارق بن سليم الشيباني. ترجمته: الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ١٠٤؛ الآمدى: المؤتلف، ٢٩٤.
(٥) النابغة الشيباني، عبدالله بن المخارق (ت، ١٢٥هـ/ ٧٤٢م): ديوانه: تحقيق عبدالكريم إبراهيم يعقوب (وزارة الثقافة، دشمق، ١٩٨٧م)، ٢٢٣-٢٢٤ مع اختلاف الترتيب.
(٦) الأصفهانى: الأغاني، ٧/ ١٠٦.

عبد العزيز: لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلًا ضيقًا فأوردها موردًا خطراً[1]. وهو ما يعكس طبيعة التأسى عليه عند الفرزدق فى قوله:

إن ابـن ليلـى بـأرض النـيل أدركـه ... وهـم سـراع إلى معـروفه، القـدر[2]

مما يشير إلى اثرِ عبد العزيز فى نشاط الشعرِ بمصر، فبمجرد أن مات خمد هذا النشاط الطارئ[3].

وفى هذه السنة بايع عبدالملك لابنيه: الوليد، ثم من بعده لسليمان، وجعلهما وليى عهد المسلمين، وكتب بيعته لهما إلى البلدان[4]. وقال حين كتب إلى الوليد بوصيته، منها قوله:

أنفـوا الـضغائنَ عـنكُم وعلـيكم ... عـند المغـيبِ وفـى حـضورِ المـشهدِ
فـصلاحُ ذات الـبينِ طـول بقـائِكم ... إن مُـدَّ فـى عُمـرى وإن لم يُمـدَدِ
فلمـثلِ ريـب الدَّهـرِ ألّـفَ بيـنكم ... بتواصـلٍ وتـراحمٍ وتـوُددِ
حتـى تلـين جلـودكم وقلـوبكم ... بمـسوَّدٍ مـنكم وغيَـر مـسوَّدِ
إن القـداحَ إذا اجـتمعنَ فَـرامها ... بالكَـسرِ ذو حَـنَفٍ وبطـشٍ باليَّدِ
عـزت فلـم تكسر، وإن هـى بـددت ... والـوهن والتكـسير للمـبدد[5]

وفى سنة (٦٨هـ/ ٧٠٥م)[6] كان هلاك عبدالملك بن مروان، إذ دخل عليه الوليد فجعل يبكى عليه. وقال: كيف أصبح أمير المؤمنين؟ فقال عبدالملك:

ومـشتغل عـنا يـريد بـنا الـرَّدى ... ومـستعبراتٍ والعـيون سـواجِمُ

---

(١) نفسه.
(٢) ديوانه، ١/ ١٨٦.
(٣) ضيف، العصر الإسلامى: ص١٦٧.
(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٦.
(٥) المسعودى: مروج، ٣/ ١٦٦.
(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٩٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٨.

أشار بالمصراع الأول إلى الوليد، وأشار بالمصراع الثانى إلى نسائه، وهن المستعبرات، وقيل إنه قال:

كم عائدٍ رَجلا وليس يعوده ... إلا لينظرَ هل يراه يَموتُ[1]

ورثاه أحد الشعراء فقال:

سقاك ابن مروانَ من الغيثِ مُسبلُ ... أجَشُّ سَمَاحى يجودُ ويهطلُ

فما فى حَياةٍ بعد موتِكَ رغبةٌ ... لحرٍّ وإن كُنّا الوليدَ نُؤمِلُ[2]

لقد كان عهد عبدالملك بن مروان من العهود التى شهدت أحداثًا سياسية مهمة أثبت من خلالها على حنكة سياسية ومقدرة ناجحة فاستطاع تثبيت أركان دولته، وتلازم ذلك مع طول مدة حكمه، فاهتم الشعر والشعراء وتفاعل معهم، فكان يرى فى مدح كعب بن معدان الأشقرى للمهلب بن أبى صفرة[3] وولده أنموذجًا من تلاحم الشعر مع الأحداث والشخصيات.

---

(١) المسعودى: مروج، ٣/ ١٦٠.

(٢) البلاذرى: أنساب، ١١/ ٢٦٥.

(٣) المرزبانى: معجم الشعراء، ٢٣٦.